الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

آليات الحجاج في خطاب المرأة في القرآن الكريم

سورة "القصص" أنموذجًا

مذكرة معدة لنيل شهادة "**الماستر**" في اللغة العربية وآدابها.

تخصص: لسانيات الخطاب.

إعداد الطالبتين:

وقاد وهيبة

مكاوي عائشة

إشراف الأستاذة:

كادي نورة

السنة الجامعية:2018/2017.


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه،نحمده تعالى على ما أكرمنا به ووفقنا لإتمام هذا البحث فله منا الشكر والثناء الحسن وامتثالا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ النمل: ١٩

فإنَّنا نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذتنا الفاضلة "**نورة كادي**" التي تكرمت وتفضلت علينا بالموافقة على الإشراف فلم تدخر جهدًا في إبداء توجيهاتها وملاحظاتها السديدة.

كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذة اللغة العربية وآدابها بجامعة المدية الذين غرسوا فينا حب العلم والاجتهاد

إلى كل من أسهم في إنجاز هذا البحث وهيأ له سُبل النجاح

إليكم جميعا فائق الاحترام والتقدير

إهداء...

لاأهدي الجُهد فهو أقلُ من أن يُهدى

بل أُهدي عظمة المعنى إلى قُلوبٍ مافتئت تُناصِرني

ضِدَّ الخذلان

إلى من قال الله فيهم«ووصَّينا الإنسان بوالديهِ إحسانًا»

و كان دعاؤهما لي سندًا ولازال نبراسًا

والدي الغاليين

إلى التي لم أجد كلمة تُوفي حَقها أمِّي الحبيبة حفظك الله وأطال في عمرك

إلى الذي ربَّاني على الفضيلة والأخلاق، أبي العزيز أطال الله في عمرك

إلى إخوتي الأعزاء سدد الله خُطاهم

وأختي الفاضلة أنعم الله عليها بالخيروالبركة

إلى كل الأهل والصديقات

إلى كل فتاة تحب الخير وتنشُد العفاف والفضيلة

وتبحث عن الحقيقة لتعمل بها

وهيـــبـة

أهدي ثمرة جهدي إلى منبع الرقة والحنان

إلى من أكن لهما أسمى عبارات

الحب والتقدير والدي الكريمين أطال الله في عمرهما

إلى أختي الحبيبة وإخوتي الأعزاء

إلى التي لها مكانة في شفاف قلبي صديقتي وأختي حنان

إلى جميع الأهل والأقارب

إلى كل الصديقات

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي

ولم تسعهم ورقتي

عائشة

مقدمة

مقدمـــــــــة

الحمد لله الذي جعل القرآن نورًا هاديًا ، وروحًا ساريًا ، ومعجزة باقية ، وحُجَّة مُلزمة كما جعله عِصْمةً ونجاةً لمن تمسّك به ، وعمل بحكمه ، و تخلّق بأخلاقه ، والصّلاة والسّلام على من كان خُلُقُه القُرآن سيِّدنا محمّد صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم وبعد:

إنَّ البحوث القرآنية كان ومازال لها حضور قوي في مختلف الدّراسات العربية بمختلف الميادين سواء كانت شرعيةً أو لُغويةً ، ورغم تعدّدها وكثْرة جوانبها تبقى عاجزة عن الإحاطة بكلّ أسرار هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،فهو الكتاب الخالد الّذي يتّسم بسموّ المعاني وقوّة البيان وروعة الإعجاز.

فمنذ نزوله اِهتمّ العلماء به وصرفوا جهدهم لدراسته فتعدّدت مناهجهم في ذلك بتعدُّد خلفيَّاتهم الثّقافيّة والمعرفيّة ، وتعدّد زوايا الرُّؤَى عندهم ، فهناك من الباحثين والدّارسين المعاصرين من درس النَّص القرآني دراسةً أسلوبية ، وهُناك من اِنتهج النّهج التّداولي الحجاجي ، لِاعتباره خطابًا حِجاجيًّا من الدَّرجة الأولى ، لأنَّه تتوفَّر فيه خصوصيّة جوهريّة **(الإقناع و التّأثير)** لكونه جاء ردًّا على خطابات تعتمد على عقائد ومناهج فاسدة ،وتقديمه أمرًا أساسيًّا يتمثَّل في عقيدة التّوحيد.

كان الحجاج ولا يزال مَحَطَّ اِهتمام اللُّغويين والبلاغيين والفلاسفة والمناطقة ، خاصّةً في الآونة الأخيرة ، لما يحتويه من أدوات وآليات تجعل من الخطاب وسيلةً لإقناع المُتلقّي والتّأثير فيه ، حتّى يفهم فهمًا مُعيّنًا ويدرك إدراكًا مخصَّصًا.

إنّ البشريّة على اِختلاف لغاتها وعقلياتها تصبو دائمًا في مُحاورتها مع غيرها إلى إقناع الآخر والتّأثير فيه، فهو يمثِّل ضرورة إنسانية يحتاجها المتكلّم في إرسال فكرة أو الدّفاع عنها في أيّ مقام ؛ وقد تجدّد هذا الاِهتمام في الدّراسات المعاصرة واصطُلِح على تسميته "**بالبلاغة الجديدة** "، حيث ركّزت على جانبين اِثنين :" **البيان والحِجاج** "، ممّا شجّع

على ظهور الكثير من البحوث والدّراسات الّتي اِتّخذت القُرآن الكريم مدوّنةً له في كثير منها.ولقد كان نصيب المرأة وافرًا من القَصَص في لغة الخطاب القُرآني ، وتميّز خطابها عن أشكال الخطابات الأُخرى في أساليب التّعبير والتّأثير والإقناع والحِجاج والتَّواصل فالخطاب القرآني أثبت أنّ بعض النِّسْوة وُهِبْنَ أسَاليب حجاجيَّة إقناعيَّة تَفَوَّقْنَ فيها على بعض الرِّجال في بعض المقامات ، وهذا ماعرضه القرآن الكريم في سُورٍ عديدة منها سورة القَصَص .

ولَعَلَّ هذا ما دَفعَنا لطَرقِ مثلِ هذهِ المَوضُوعَات ، مُتخذينَ من القُرآن الكريم مدونةً تَطبيقِية تَنْجلِي فِيها أضْرُبُ الحِجَاج لأنَّهُ أبلغُ خِطابٍ على الإطلاقِ إضافةً إلى تَعَدُدِ الأسَاليبِ الحِجاجِية فيه وتنوُّعها ، ولكي يستوي موضوع الدِّراسة ، كانت صياغته على النّحو الآتي:

" **آليات الحجاج في خطاب المرأة في القرآن الكريم سورة "القَصَص" أنموذجاً** "

كما هو مبيّن في العنوان ومن خلال عناصره المكوِّنة له، أنَّه يحمل إشكالية عامَّة مَفادُها

ما هو الحجاج وما هي آلياتُه ؟ ما علاقة الحجاج بالخطاب القرآني ؟ .

- ماهي خصائص الحجاج القرآني؟.

ماهي الآليات الحِجاجية التي اِحتواها خطاب المرأة في سورة القَصص؟.

- ماهي خصائص خِطاب المرأة في ضوء القرآن الكريم؟.

تكمن أهمّية هذا الموضوع في كونه:

- يطمح إلى دراسة الخطاب القرآني للمرأة في سورة القصص.
- يسعى إلى الكشف عن معانيه ومقاصده من منظور حجاجي .
- إظهار بلاغة القرآن في خطابه للمرأة ، وبيان الأساليب التّعبيرية للمرأة .

وللوصول إلى الإجابة على هذه الإشكالات، تطلَّب منّا وَضْع خطَّة مفصلية للموضوع تمثّلت فيما يلي:

مقدّمة تلاها **مدخل** يحمل عنوان الحجاج ومفاهيمه عند العرب والغرب ، حيث حاولنا من خلاله بيان دلالة مصطلح الحجاج لغة وإصطلاحًا كما بيّنّا مفاهيمه عند العرب والغرب قديما وحديثا.

يِليه **فصل أوَّل نظري** موسوم بماهية الخطاب القرآني وآلياته الحجاجية قسّمناه إلى ثلاث مباحث: **المبحث الأوّل** عنونّاه **بالحجاج وماهية الخطاب القرآني** من خلاله بيّنّا مفهوم الخطاب القرآني ، كما تطرّقنا أيضًا إلى الحجاج في الخطاب القرآني وخصائصه ، تلاه **مبحث ثاني** بعنوان **الخطاب والإقناع ودلالة الحجاج في القرآن الكريم** ، تناولنا فيه الحجاج والخطاب والحجاج والإقناع ،بالإضافة إلى مطلب ثالث دلالة الحِجاج في القرآن الكريم ، أمَّا **المبحث الثّالث** تناولنا فيه **آليات الحِجاج اللُّغوية والبلاغية وشبه المنطقية.**

في حين عنونّا الفصل الثاني **آليات الحِجاج في خِطاب المرأة في سُورة القَصص** أفردناه لتَطبيقِ الآليات الحِجاجية على خطاب المرأة ، تناولنا فيه التّعريف بسورة القَصص ، خطاب كل اِمرأة ذُكرت في السُّورة بالإضافة إلى فحوى الخطاب ، ثمّ الآليات الحجاجية في خطاب كل اِمرأة على حدى، قُسِّم إلى ثلاث مَباحث ، الأدوات اللغوية الآليات اللغوية ، الآليات شبه المنطقية ، ثمّ فوائد كل خطاب ، بعدها عَرضْنا خصائص خطاب المرأة في ضوء القرآن الكريم.وأخيرًا **خاتمة** تعرض أهمّ النّتائج المُتوصّل إليها.

أمّا المنهج المُعتَمد والّذي فَرَضَتْه طبيعة البحث فهو **المنهج التّداولي** إضَافةً إلى **المنهج الإستقرائي** في جمع المادّة العلمية مع الإستعانة **بالمنهج الوصفي** في بيان الآليات الحجاجيّة في خطاب المرأة في سورة القَصص.

أمّا أسباب اِختيارنا لهذا الموضوع فتكمن فيما يلي:

1-أهمّية موضوع الحجاج كونه موظّفًا في جميع أنواع الخطاب.

2-الرَّغبة في التَّعرّف على أهم مفاهيم الدَّرس الحجاجي وآلياته.

3- كَونُنَا اِمرأتان أردنا التَّعرّف على أساليب خطاب المرأة في القرآن الكريم ، وآلية تقديمها للحجّة وإقناعها للمتلقّي.

4- تمّ اِختيار سورة(**القصص**) لِاشتمالها على صور حجاج المرأة منها:

- خِطاب أمُّ مُوسى عليه السلام .
- خِطابُ زوجة فرعون .
- خِطَاب أخت موسى عليه السلام .
- خِطاب ابنتي شُعيب عليه السلام.
- إضافةً إلى توفرها على آليات حِجَاجِية تصلحُ لِلدراسَة

واِعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع لإنجاز هذا البحث أهمّها:

التّ

التّفاسير:

- **تفسير القرآن الكريم-سورة القصص:** لمحمد بن صالح العُثَيمين .
- **تفسير القرآن العظيم:** لإسماعيل ابن كثير.
- **التّحرير والتّنوير** :الطاهر بن عاشور .
- **روح المعاني في تفسير القرآن والسّبع المثاني:** لشهاب الدّين الألوسي.

بالإضافة إلى كُتب تراثية :

- "**لسان العرب**" :اِبن منظور ،
- و"**البيان والتبيين**": الجاحظ

ومجموعة من الكتب التي تناولت موضوع الحجاج وآلياته منها:

- **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية:** عبد الله صولة.
- **الحجاج واللغة، الحجاج والخطاب:**أبو بكر العزاوي.
- **استراتيجيات الخطاب:** عبد الهادي بن ظافر الشهري .
- **اللسان والميزان:** طه عبد الرحمان.

إضافةً إلى دراسات سابقة في موضوع الحِجاج أهَمُّها :

-الحجاج في النّص القرآني سورة الأنبياء " أنموذجا" رسالة- ماجستير- للطّالبة: إيمان دروني.جامعة الحاج لخضر باتنة.2013/2012.

-الحجاج في سورة يوسف رسالة -ماجيستير-للطّالبة حياة دحمان جامعة باتنة،2013/2012.

أمّا عن الدّراسات السّابقة فكثيرة هي منها:

خِطاب المرأة في القرآن دراسة بلاغية ، غدير الشمايلة .

ومن المعلوم أنَّه لا عمل إلاّ ويتطلّب من صاحبه تجاوز الصّعوبات وتخطِّي ما يعترضه بحثه .

- قلَّة المراجع المتخصِّصة وذلك لحداثة الدَّرس الحجاجي.

- تَداخُل موضوع الحجاج مع معارف أخرى ، كالفلسفة والبلاغة واللّسانيات.

- الاِختلاف والتَّبايُن في المُصطلحات من باحث لآخر ، وعدم الاِتّفاق على رؤية واحدة.

- تَشَعُّب الحجاج بين علم النَّحو وعلم الدّلالة والبلاغة.

ويعود الفضل الكبير في إنجاز هذا البحث إلى أُستاذتنا المشرفة الأستاذة : " **كادي نورة** " الّتي يَسَّرت علينا كلَّ ما تعسَّر وأنارت كل ما كان غامضا بملاحظاتها وتوجيهاتها

السَّديدة فكانت وراء كل كلمة صائبة في هذه الدّراسة فلها منَّا كل الإمتنان والشّكر. ونرجو من الله عزّ وجل أن يجزيها عنّا خير الجزاء وأن يجعلها نورًا وذخرًا لطلبة العلم عامّةً وطلبة كلية اللغة العربية خاصّةً.

كما نتقدّم بكامل التّقدير والإحترام إلى كل من أسهم في إنجاز هذا البحث ولو بالشّيئ اليسير.

وأخيرًا نرجو أنّنا نكون قد حقّقنا ولو قليلاً ممّا كنّا نصبوا إليه من خلال هذه الدّراسة الخاصّة بالحجاج ، فما كان فيها من صواب فمن الله عزّ وجل وما كان فيها من خطأ أو زلل أو نسيان فمنَّا ومن الشّيطان.

ونسأل الله السّداد والتّوفيق

مدخل: الحجاج ومفاهيمه:

المبحث الأوّل: مفهوم الحجاج(Argumentation):

1-المعنى اللّغوي:

ورد المفهوم اللّغوي للحجاج في أكثر من معجم فنجده ورد في " **لسان العرب** " في مادّة **(ح ج ج)** على النّحو التّالي: « من حاجَّ وحاجَجْتُه أحاجه حجاجًا و مُحَاجّةً حتى حاججتُه أي غلبته بالحُجَج التي أدْليتُ بها و حاجَّه مُحَاجة و حِجاجًا نَازَعَهُ الحُجَّة والحُجَّةُ: **البرهان** ، وقيل الحُجّة ما دُوفع به الخصم، و قال الأزهري الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفرُ عند الخُصومة و هو رجل مِحجاجٌ أي جَدِلٌ»[1]. أي: أنّ "**اِبن منظور**" يجعل الحجاج مرادفًا للجَدل صراحة في قوله :هو رجل محجاج أي جَدِل .

والتَحاجُّ : «التَّخاصمُ ، وحاجّه مُحاجةً وحِجاجًا: نازعهُ الحُجَّة وفي الحديث:فَحجَّ آدم موسى أي غَلبه بالحُجَّة وفي حديث الدجال ، إنْ يخرج وأنا فيكم فأنا حَجِيجُه أي مُحاجه ومُغالبُهُ بإظهار الحجَّة عليه والحُجَّةُ : الدّليل و البرهان » [21].إذن الحجاج هو« النّزاع و الخصومة بواسطة الأدلّة و البراهين الكلامية و الحجج العقلية فيكون بهذا مرادفًا للجدل»[3]. إذ حدُّ الجدل حسب اِبن منظور أيضا : مقابلة الحجّة بالحجّة والجدل: اللّدَد في الخصومة و القدرة عليها. وقد جادله مجادلةً و جدالا ، ورجل جدِل : شديد الجدل. جادلْت الرجل فجدلْته : أي غلبْته .والجدل: شدّة الخصومة. و في الحديث :« ما أوتي الجدل قومٌ إلاّ ضلّوا" .والجَدَلُ: مقابلة الحجّة بالحجّة. و المجادلة: المخاصمة والمناظرة »[4].

---

[1]- اِبن منظور: " لسان العرب" .المجلد الثاني. دار صادر، بيروت .مادة(ح،ج،ج)، ص:288.

[2]-المرجع نفسه: ص:288.

[3]- قدور عمران: البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني ،عالم الكتب الحديث ، د ط،2012، ص: 24.

[4]-اِبن منظور: المرجع السابق: المجلد الثالث. مادة(ج د ل)، ص:4.

أمَّا في "**المعجم الوسيط**" فلم يكن ببعيد عمَّا جاء في " **لسان العرب**" فقد ورد معنى الحِجاج بأنّه الحُجَّة « الدّليل و البرهان ، ويُقال حاجَّه فَحجَّه وغلبه بالحُجَّة والمِحْجاجُ الذي يُكثر الجَدل»[1].

من خلال المعنى اللّغوي لكلمة حِجاج نلاحظ أنّها تحمل دلالة البُرهان والدّليل كما تحمل في مضمونها معاني التّخاصم والنِّزاع والجَدل والغلبة ، أي مقابلة الحجّة بالحجّة فتكون الغلبة لأحد الطّرفين.

و في نفس الصّدد نجد معناه عند "**اِبن فارس**" في "**مقاييس اللغة**" يُعرِّف الحِجاج على النّحو الآتي:« يُقال حَاجَجْتُ فُلاناً فحَجَجتُه أي غلبته بالحُجَّة ، وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع :حُجَجٌ والمصدر الحجاج»[2].

يتّضح لنا من خلال التّعاريف السّابقة أنَّ الحجاج يظهر أثناء المخاصمة بين اِثنين فأكثر، حيث تُعتبر الحُجَّة الوسيلة التي يستعملها المتكلّم المتغلِّب على خصمه.

كذلك نجد "**الزّمخشري**" قد تناول لفظ الحجاج في كتابه "**أساس البلاغة**" بقوله: "حَجَجَ: اِحتجّ على خصمه بحجّة شهبا، و بحجج شهب وحاجَّ خصمه فحجّه وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما مُحاجَّة ومُلاجَّة »[3]. فالزّمخشري حصر الحجاج في المُخاصمة والمُغالبة .

وإذ عدنا إلى الأصول اللاّتينية للمصطلح نجد أنّ كلمة **(argument)** من الفعل اللاّتيني **(arguer)** وتعني جعل شيئ واضحًا ولامعًا وظاهرًا من جذر إغريقي **(argues)** و تعني أيضا لامعًا»[4].

---

[1]– المعجم الوسيط: مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط 4 ، 2004/1425،ص:157.

[2]–ابن فارس : مقاييس اللغة، دار الجبل ،بيروت ، مج2،ط، ص30.

[3] –الزمخشري : أساس البلاغة ، دار صادر، بيروت، ص:113.

[4]–عبد الجليل العشراوي:الحجاج في الخطابة النبوية ، عالم الكتب، اربد الأردن،ط1 ،2012،ص:10 .

أمَّا مصطلح (**Argumentation**) تدلّ على معانٍ متقاربة أبرزها حسب قاموس روبير (**Le grand Ropert**) كونه « مجموعة من الحُجَج الّتي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة»[1].أي أنّ الحجاج هو تقديم الحجج و الأدلّة المؤدّية إلى نتيجة معيّنة.

أمَّا في الانجليزية فيشير« لفظ (**Argue**) إلى وجود اِختلاف بين طرفين ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العِلل "**Reasons** " الّتي تكون الحجّة (**Argument**) مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما » [2].

ومنه كلٌّ من: التّنازع، التّخاصم والجدل .....، مفاهيم متقاربة و متّفقة كلّها تؤدّي إلى معنى واحد هو :الحجاج.

2-المعنى الاصطلاحي:

يدور مفهوم الحجاج في فلك العديد من التّعريفات المختلفة ، يرى بعضهم الحجاج مرادفًا للجدل في حين ربطه البعض بالخطابة ، وهناك من درسه بناءً على تقسيمه إلى ضمني وصريح وفي ما يلي لمحة عن أهم هذه التّعريفات .

المبحث الثاني:الحجاج عند العرب:

1-عند القدماء :

تناول العرب القدامى والمحدثين مصطلح الحجاج كُلاًّ حسب توجّهِه ولَعلَّ من أبرزهم "**أبو الوليد الباجي**" في كتابه (**المنهاج في ترتيب الحجاج**) حيث يقول في مقدّمته :« وهذا العلم من أرفع العلم قدرًا وأعظمها شأنًا لأنّه السّبيل إلى معرفة الاِستدلال ، وتَمْييز الحقِّ من المُحال، ولولا تصحيح الوضْع في الجدل لما قامت

[1]-هاجر متقن: آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ،ونظرية البرهان ، جامعة قاصدي مرباح الجزائر ورقلة [1]،ع 5 ،مارس 2006، ص 172

[2]- المرجع نفسه.

حُجَّةٌ ولا اِتّضحت مَحَجَّةٌ ولا عُلِمَ الصَحِيحُ من السَّقيم ولا المُعْوج من المُستقيم»[1].

اِنطلاقا ممّا سبق يمكن القول أنّ الحجاج هو عِلمٌ له أركانه وطُرقه المميّزة له، غايته معرفة الحقيقة والتّمييز بين الصّحيح و المحال.

وأمّا "**السكّاكي**" في كتابه **(مفتاح العلوم)** نجده يقول: «علمًا منّا بأنّ من ألقن أصلاً واحدًا من علم البيان كأصل التّشبيه أو الكناية أو الإستعارة ، ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به ، أطْلَعَه ذلك على كيفية نظم الدَّليل »[2]. وتناوله "**الزّركشي**" أيضا فيُعرّفه بقوله :« وهو الإحتجاج على المعنى المقصود بحُجَّة عقلية تقطعُ المُعاند لهُ فيه »[3].

وبالعودة إلى تعريف "**الجاحظ**" من خلال كتابه "**البيان و التّبيين**" يتأكّد لنا أنّه أعطى أهمّية كبيرة للخطاب الإقناعي و هذا عندما تكلّم عن البلاغة قائلاً: « أوّل البلاغة اِجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأْشِ، ساكنَ الجوارح قليل اللّحظ، مُتخيّر اللَّفظ لا يُكَلِّم سيّد الأُمّة بكلام الأمّة ولا الملوك بكلام السّوقة »[4].

والتّعريف هنا يحيلنا بلا شك إلى الأسس الّتي يقوم عليها الإقناع من ألفاظ منتقاة و قدرة على فرض الهيبة و حسن اِختيار للأسلوب، إذ للملوك أسلوب في المخاطبة غير الذي للسّوقة و عامّة النّاس.

كما بلوره "**ابن خلدون**" في **(المقدمة)** عند حديثه عن أصول الفقه إذ ذهب إلى الإقرار بضرورة اِستعمال الحجاج بوصفه آلية الإقناع المثلى واِعتبر أنّه « معرفة آداب المناظرة الّتي تجري بين أهل المذاهب الفقهية و غيرهم»[5].

نلاحظ من خلال تعريفات العلماء القدامى للحِجاج أنَّ الحِجاج له علاقة بالجدل

---

[1]- أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح عبد المجيد التركي ،ط2 ، المغرب ، دار المغرب الاسلامي ص8.

[2]– محمد بن علي السكاكي : مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،ط2 ،1998 ،ص: 435 .

[3]– محمد بن عبد الله الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، المكتبة المصرية ، بيروت، د ط ، د ت ، ج3 ،ص: 486 .

[4]– أبو عثمان عمرو بن بحر : البيان و التبيين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط2 ، 2003 ،ج1 ، ص: 74 .

[5]– ابن خلدون : المقدمة ،دار الكتاب العربي بيروت، لبنان ،د ط ، 2005 ،ص: 14 .

والإقناع والمُناظرة.

2- عند المحدثين :

تمخّضت الجهود العربية الحديثة في نظرية الحجاج على يد جملة من الباحثين ولا سيما المغرب العربي ومن أبرزهم "**طه عبد الرحمن**" الّذي عرف عنه اِشتغاله الفلسفي والذي حدَّ الحِجاج بقوله :« إنَّه فعاليّة تداولية جدلية ، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقامي واِجتماعي ، وهو أيضًا جدلي ، لأنّ هدفه اِجتماعي قائم بلوغه على اِلتزام صور اِستدلالية »[1] . فالحجاج في اِصطلاح هذا الأخير هو «كلُ منطوق موجَّه للغير لإفهامه ودعوة مَخْصوصة يحقّ له الإِعتراض عليها »[2]. كما ذهب إلى أنَّ الأصل في الكلام« صفته الخطابية والحجاجية و المجازية ، بناءً على أنّه لا كلامَ بغير خطاب ، ولا خطاب بغير حجاج »[3].

كما يُركز "**العمري**" على المقام في عملية الحجاج ، ولا سيما المحاورة بين الأنداد إذ أنّ « المخاطبة الاِجتماعية تتّسم بالنّصح والمشاورات لتناول الخطاب العلاقة بين النّاس وتنظيم المجتمع ، وأنّ الخطاب الوجداني هدفه المشاركة في الأحزان والمسرّات ويعتمد الخطاب المُوجَّه في مُجْمَلِه على الحُجَج المعمّقة والأسلوب الجميل المؤثّر»[4]. نظر "**محمد العمري**" للحِجاج بطابع إقناعي تأثيري كما ركّز على المعنى ففي غالب الأحيان يحمل الحِجاج معاني الإقناع و الجدل و البرهان . كما عرَّف البلاغة الجديدة بأنها «عِلم الخِطاب الاحتمالي الهادف إلى التأثير أوالإقناع أو هما معًا إيهامًا و تصديقًا »[5].

---

[1]- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ط2 ،المركز الثقافي العربي،الرباط المغرب ،2000،ص65.

[2]- المرجع نفسه ،ص 224 .

[3]- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي: المركز الثقافي العربي،ط1 ،1998، ص213 .

[4]- محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي ،أفريقيا الشرق ،بيروت لبنان،ط2002،2 : ص59 .

[5]- محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول،أفريقيا الشرق،المغرب،ط2 ،2012 : ص 6 .

وقد أسهم "**أبو بكر العزّاوي**" في هذا المسار ، حيث يرى « أنَّه لأخذ فكرة واضحة عن مفهوم الحِجاج ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة أو الإِستدلال وأنَّ الحِجاج هو تقديم الحجج والأدلّة المُؤدِّية إلى نتيجة معينة وهو يتمثّل في إنتاج تسلسلات إِستنتاجية داخِل الخِطاب »[1].

كما يرى أيضاً أن الحِجاج وصف اللُغة وعرَّفه بأنه « إنجاز المُتكلم لخِطاب يعتمد على آليات التّقديم والتّسلسل والتّرتيب والإِستنتاج ، لغرض التّأثير والإقناع »[2].

نلاحظ أنَّه نظر إلى الحِجاج من منظور لغوي حيث جعله تسلسلات داخل خطاب ما .

من خلال تعريفات **العرب المحدثين** يمكن أن نستنتج تعريفا عامًّا ، هو أنّ الحجاج عبارة عن خطاب موجّه للغير هدفه التّأثير والإقناع .

المبحث الثالث:الحجاج عند الغرب :

1-قديماً :

لعل دراسة "**أرسطو**" للحجاج من أهم الدّراسات القديمة ، يُعدّ كتابه **(الخطابة)** من أقدم الكتب التي اِهتمّت بموضوع الحجاج عامّة والإقناع وأدواته خاصّة ،أمَّا عن مفهوم الحِجاج في التّقاليد الغربية قد جعله **أرسطو** « بؤرة الخطابة والإقناع وقد تناوله من زاويتين هما ، الزّاوية البلاغية وذلك بربطه بالجوانب المتعلّقة بالإقناع ، ومن زاوية جدلية بِاعتباره عملية تفكير، تتم في بنية حوارية تنطلق من مقدّمات لتصل إلى نتائج تحديد قيمة هذه الأقوال الحجاجية » [3].

2-حديثًا :

[1]- أبو بكر العزاوي :اللغة والحجاج ،،العمدة في الطبع- المغرب ،ط1 ،2006 ،ص: 14 .

[2]- أبو بكر العزاوي: الخطاب و الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت لبنان،ط1، 2010، ص :17 .

[3]- "ينظر" أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج ،ص: 14

أمَّا في الدرس الغربي الحديث نجد "**شايم بيرلمان**" : "**Ch ,Perelman**" "و**لوسي أولبريخت تيتكاه**" "**L, O.Tyteca**" فقد أولوا إهتمامًا كبيرًا وذلك من خلال مصنّفهما الذي ركّزا فيه على الحجاج وقضاياه وأنواعه ويرى "**بيرلمان**" أنّ موضوع الحجاج هو « تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تُؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يُعرَض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم »[1].

و في موضع آخر تحدّثا عن الغاية من الحِجاج و هي «إذعان العُقول بالتّصديق بما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان ، فأنجَع حُجَّة هي التي تنجح في تقوية حِدَّةِ الإذعان عمن يسمعها ، وبطريقة تدفَعُه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه ، أوهي على الأقل تحقّق الرّغبة عند المرسل إليه في أن يقوم بالعمل في اللّحظة الملائمة»[2] فأنجع الحجاج عندهما ما جعل حدّة الإذعان تزيد و تقوى درجتها لدى المتلقّي. أيضا وجهة نظرهما حول الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج ، وأن المعنى ذو طبيعة حجاجية [3]. والحجاج عند "**بيرلمان**" يتميّز بخمسة ملامح هي :

1-أن يتوجّه إلى مُستمع .

2- أن يُعبّر عنه بلغة طبيعية .

3- مسلّماته لا تعدو أن تكون اِحتماليَّة .

4- لا يفتقر تناميه (تقدمه)إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة .

5- ليست نتائجه ملزمة [4]

---

[1]- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة،ع2 ،مارس 2000 ،ص61 .

عبد الهادي بن ظافر الشهري:إستراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)،دارالكتاب الجديد ط1 مارس2004 ص456 - 457 .[2]

[3]- المرجع السابق ، ص457 .

[4]- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان ، ص61 .

كما تطرّق كل من " **أوزالد ديكرو**" **(Oswald Ducrot)** و "**جون كلود أنسكومبر**" **:Anscombre Jean-Claude)** إلى الحجاج ونظروا إليه نظرة لسانية خالصة ، فتناولوا مفهوم الحجاج وآلياته في كتابهما الموسوم "**بالحجاج في اللغة**" **سنة 1973 (L argumentation dons la longe)** وحصراه في اللغة وانطلق "**ديكرو**" من فكرة مؤدّاها "**إنّنا نتكلَّم عامّةً بقصد التّأثير**"[1]. فنظرية الحِجاج في اللغة هي « نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغة الطبيعية التي يتوفر عليها المُتكلم ، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنّه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية »[2].أي أنَّ «الحِجاج باللغة يجعل الأقوال تتتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حجاجيًّا تدعم وتثبت بعضها الآخر »[3].

ويرى **ديكرو** أنَّ « كل قول يحتوي فعل إقناعي فإن تتكلّم يعني أنّك تحاجج ،(كل قول = حجاج) ولا وُجود لكلام دون شحنة حجاجية »[4]. فالحجاج عنده هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تُنتج عن عمل المُحاججة ، ولابُدَ من الإشارة إلى مفهوم أساسي في نظرية **(ديكرو)** الحِجاجية وهو التّوجيه إذ اِعتبر أن غاية الخطاب« نمط من النتائج باعتبارها الوِجهة الوحيدة التيُ مكن للمخاطب أن يسير فيه»[5].ففي رأيه أنّ كل قول يحمل جانبا حجاجيا يهدف إلى حصول فعل إقناعي على المتلقّي.

وبعبارة أخرى فإنَّ دراسة الحجاج أخذت« تهتم باِستراتيجية الخطاب الهادف إلى الاِستمالة اِستنادًا إلى أنماط الاِستدلالات غير الصّورية ، وذلك بغاية إحداث

4- قدور عمران : البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني، ط1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ،2012 ص29.

[2]- المرجع نفسه،ص29 .

[3]- صابر حباشة: التداولية و الحجاج،مداخل و نصوص،ط1 صفحات للدراسات والنشر دمشق،سوريا،2008 ،ص23 .

[4]- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج،ص14 -16 .

[5]- صابر الحباشة : التداولية والحجاج ،ص24 .

تأثير في المُخاطَب بالوسائل اللّسانية والمُقوِّمات السِّياقية التي تجتمع لدى المُتكلّم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية »[1].فالحجاج هنا هو طريقة عرض المرسل الحجج و الأدلة داخل الخطاب بهدف اِستمالة المتلقّي و حمله إلى الإذعان والإقناع .

من خِلال ما سبق يمكن القول أنَّ الحِجاج في الفكر الغربي الحديث تناول جانبين ، جانب تداولي يظهر ذلك من خلال أعمال "**ديكرو**"وجانب بَلاغي مع"**بيرلمان**". فرغم اِختلاف تَوجُّهِهما إلاّ أنّهم وضعوا نظرية حِجاجية ، وبالرّغم من أنَّ البحث الحجاجي له جُذوره القديمة التي تمتد إلى اليُونان وبالتحديد إلى "**أرسطو**"الذي أرسى معالم الدّرس الحجاجي ولذلك اِستفاد الدّرس الحجاجي الحديث من التّراث اليوناني القديم فحاول بَعْثه من جديد في نُشُوب جديد ألا وهو النّظرية الحجاجية .

[1] – عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، إفريقيا الشرق، المغرب، ص: 67.

توطئة:

يُعَدُّ القرآن الكريم أسمى خطاب لغوي وجَّهه الله عزَّ وجل للبشريّة جَمْعاء، غرضه الإيمان بالله وتوحيده والتّخلّي عن المعتقدات الباطلة والفاسدة، والإقتناع به كدستور مرجعي ومنهج حياة، لأنّه قائم على جملة من الأحكام التّشريعية المنظِّمة للحياة الإجتماعيّة. وقد أنزله الله في « بيئة شفهية أجلَّت الكلام ومجَّدت فِعْلَه، كما نشأ في تقليد قَبَلي له أنظمته الإعتقاديّة ومراسِمه الإقتِصاديّة وضوابطه الإجتماعيّة، فنشأ الخطاب القرآني داخل هذه المُلابسات والأسيقة جعلته نصًّا يُناظِر نصوصًا ويُحاور مرجعيّات ويُجادل ثَوابت كان لها فِعْلُها في تاريخ شبه الجزيرة العربية الثَّقافي زَمنَ الدَّعوة في بواكيرِها » [1].

وعليه فإنّ الخطاب القرآني وهو يحاور تلك الأنساق ويجادل تلك التّعاليم ويُسائل تلك الثّوابت إنَّما كان « يبْني سياق فِعْله الخاص، وَيرسُم مَوْقِع وُجُودِه المُفرَد في فضاء ذي مرْجعيات وسُنَن، وثمَّةَ بدأ يسري في البيئة العربية سرَيانَ تحويل وتبديل، فبعدَ أن كان طارئًا غدا مُتمكّنًا يُوجِّه العقل الإسلامي سُلوكًا وعَملاً نظرًا إلى العالم »[2] . أي: أنَّ القُرآن الكريم إعجازُه وبيانه ونظمُه أبْهر العقولَ وأَذْعَنها، وغيَّر العواطف والسُّلوك وشكَّل تحوُّلاً فكريًّا وعَقَدِيًّا وحَضَارِيًّا في البيئة العربية.

المبحث الأوّل: مفهوم الخطاب القرآني و خصائصه:

المطلب الأوّل : مفهوم الخطاب القرآني:

إنّ الخطاب القرآني خطاب إلهي مُعجِز« يمتلك من الأدوات والوسائل التّعبيرية التّواصلية القادرة على إستيعاب الأنساق الحضاريّة، إنّه رسالة ربّانية لكافّة النّاس دون تَحيُّز أو طائفيّة، أو جغرافيّة معينة، فهو خطاب هداية و خير، وله دور فعّال ومهم في إحتواء كل

[1]– علي الشبعان،الحجاج وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد المتحدة ،ليبيا، ط1، 2010، ص52.

[2]– المرجع نفسه،ص54.

ما منْ شأنه أنْ يُتيح للرسالة الخالدة مخاطبة الإنسان على وجه العموم بقصد توجيهه ونُصْحِه وتصويب مساره، والتّأثير في مناحي حياته كافّة »[1]. ولا شكّ أنّ هذا دليل كافٍ على أهمّية الخطاب القُرآني وقُدرته على إقناع العقل السّليم للإنسان.

إنّه خطاب تُنظِّمُه وحدة بنيوية خاصّة أي: « نظام فكري ونظام لغوي يمتاز ب(الاتّساق /التّرابط الشّكلي والانسجام/التّرابط المعنوي)، فلا يُدانيه أيّ خطاب آخر في نَظْم دَوَالِه، ودقَّة مدلولاته، وتأليف وتناسُق عباراته ..... غير أنّه دائم الإحتياج لمن يُجدّد حيويّته ويثبت له مُلاءمته للظّروف الزّمنية والمكانية المستجدة ،لأنّه غيْر مُقيّد بزمان أو مكان »[2]. إذن هو خطاب فريد، تميّز عن غيره من الخطابات الأخرى، فهو الذي تَحدَّى اللهُ به العرب، وهم أرباب بلاغة وفصاحة فأقرُّوا بتَفَوُّقِه وسُمُوّه، وإعجازه يَكْمُن على ذلك في صلاحيته كخطاب لكلّ زمان ومكان، فمهما تَغيَّرت الظّروف ومهما تغيّرت الأجناس البشريّة يَظلُّ القُرآن مُسايِرًا ومُتكيِّفًا مع هذه التّغيُّرات لأنَّه منهاج حياة.

المطلب الثاني:الحجاج في الخطاب القرآني:

من الجهود العربية المعاصرة التي سلّطت الضوء على دراسة الحجاج في القرآن الكريم نجد: جهود " **عبد الله صولة** " الذي قام بدراسة وتحليل الخطاب القرآني معتمدًا على النّظريات الحجاجيّة الغربيّة ، ويظهر ذلك من خلال مُؤلَّفه **(الحجاج في القرآن الكريم)** حيث وصل فيه إلى نتيجة مُقتضاها أنّ الخطاب القُرآني خطاب حجاجي مُقْنِع بوجه من الوُجوه وهو « حوار دائر بينه وبين مُتلقّيه، أو هو بالأحرى حواريّة مُعتبرًا فيها حضور الطّرف المتلقي حضورا فاعلا وليس هو عُنفًا مُسلّطًا على العقول في شكل اِستدلالات جامدة، ولا

[1]– لطفي فكري محمد الجودي،جمالية الخطاب في النص القرآني، مؤسسة المختار، القاهرة ،مصر، ط1،2014،ص 94.

[2]– المرجع نفسه، ص95.

هو باللّامعقول بالّذي يخلب الألباب في شكل خُزَعْبلات صائدة » [1] إذ يقول « لقد توافر في القُرآن من المُعطيات ما جَعله خِطابًا حِجاجيًا وما جعل الحِجاج يُصِيب كثيرًا من العناصر اللغوية فيه، مثل الكلمات والتّراكيب والصُّور، وهي تَتَكرّر فيه تكرارًا جعلَ منها خَصائص أسلُوبِه المُميَّزة » [2].

إنَّ الخطاب القرآني خطاب حجاجي وما يصوغُ القَول بحجاجيّته هو أنَّه خطاب والخطاب يقتضي الإقناع والتّأثير على حدِّ قول بِنفنيست «الخطاب في أعَمِّ مفاهيمه كل قول يفترض مُتكلِّمًا وسامعًا مع تَوفُّر مقصد التَّأثير بوجه من الوجوه في هذا السّامع ».[3]

ومن البديهي أن يكون النَّص القرآني خِطابًا بِوصفهِ نصًّا مؤثِّرًا وكَونُه خِطاب يقتضي أنَّهُ يرومُ الإقناع والتّغيير والتأثير، وممّا يُثبت أنّه خِطاب كثرةُ، مُخاطباته حتى جُعِلَت هذه المُخاطبات في القرآن عِلمًا من عُلومهِ [4].

فقد تعدَّدَ المخاطبون في القرآن فمنهم من « كان مُخاطَبًا في النّص **(مخاطب داخلي)** كما في خطاب الله للنّاس، وخطاب الأنبياء لأقوامهم ، ومنهم من كان مخاطبًا عامًّا **(وهو مخاطب خارجي)** وهو المستمع أو المتلقّي في كل زمانٍ ومكان، وهذا يعني أنَّ الله تعالى في خطاب دائم مع البشر وفي حالة تواصل بهم، بل أشدّ أنواع التّواصل، سواء أكان هذا التّواصل خطابيًّا من خلال ما أنزله من كتب مقدّسة، أو من خلال مُذعجزاته على يد

[1] – عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،دار الفرابي بيروت ،لبنان،ط1 ،2002 ص610 .

[2] – المرجع نفسه ص40 .

[3] – المرجع السابق ص41 .

[4] – ينظر، بدر الدين الزركشي :البرهان في علوم القرآن ،،ت يوسف عبد الرحمان المرعشلي، دار المعرفة، لبنان 1999،ج2، ص230.

أنبيائه، أو من خلال آياته التي تعيش مع البشر»[1]. و الهدف كما هو معروف كان لتبليغ وحدانيَّته وإرشاد النّاس إليه ووضعهم في المسار الصحيح .

والمخاطبون فيه نوعان على الأقل: « نوع يُذكر داخل النص القرآني وهذا بدوره قسمان : قسم مذكور معيّن بِاسمه ولقبه أو بضمير الخطاب الذي يعنيه ، شأن خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطاب الكافرين في قوله:﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾[2] . وخطاب بني إسرائيل أو أهل الكتاب، وخطاب الذين آمنوا وهو كثير فيه فهؤلاء هم المُتلقّون الأوّلون أو السَّامعُون الأوَّلون، ويمَثّلون ما يمكن أن يُسمّى في اِصطلاح الجمهور الخاص أو الضّيّق، وقِسم مذكور في القرآن لكنَّه غير معيّن ولا مُحدّد فالمخاطبون هنا ليسوا بأعيانهم، والصّورة النّحوية التي جعلت لهم ضمير المخاطب المفرد عادةً »[3]. من نحو:« ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٩٣ ﴾ (4).وقوله أيضا: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤ ﴾[5].على

---

[1]– ينظر،مثنى كاضم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي ،تطبيق على السور المكية ، دار مكتبة عدنان ط1 2015،ص57 .

[2] - سورة الكافرون، الآية(01).

[3]–عبد الله صولة الحجاج في القرآن الكريم، مرجع سابق،ص41 .

[4] - سورة الأنعام، الآية (93).

[5] - سورة النمل،الآية (14).

من اِعتبر الخطاب في الآيتين لغير مُعيَّن وقد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم» [1] . أمَّا النوع الآخر من المخاطبين« فواقعٌ خارجَ النَّص القُرآني غيُر مذكور فيه، ولكنَّه مع ذلك معني بخطاب القرآن، وهو جمهور السّامعين والمتلقّين على اِختلاف عُصورهم وأمكنتهم، إنَّه بعبارة الحجاجيّين الجمهور الكوني» [2].

إنَّ للقرآن الكريم تأثيرًا في النّفوس، فسَماعُه يحدث تأثيرًا ولذّةً وحلاوةً وروعةً ومهابةً في قلبِ السامعِ لقوله تعالى :﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾.[3].ولهذا نجد الكثير من الصّحابة رضوان الله عليهم تأثَّروا وأسلموا عند سماعهم للقرآن الكريم ومنهم:« الجُبير بن مُطْعِم لمّا سمع قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لسورة الطّور حتى اِنتهى إلى قوله :﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ ﴾ [4].قال: خشيت أن يُدركني العذاب وفي لفظ :" كاد قلبي يطير فأسْلَم»[5].فهذه الرّوعة تحدث في قلوب السّامعين وأسماعهم سواءٌ « المُقرِّين أوالجاحدين فإن كان مؤمنًا به وجد بداخله روعةً في أوّل سماعه وخشيةً وإن كان جاحدًا وجد مع تلك الرّوعة نفورًا وعَيًّا» [6] . فالقُرآن الكريم «عجيبٌ نَظمهُ، وبَديعٌ تأليفهُ، لا يتفاوت و لايتباين، على مايتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها :من ذكر قصص

---

[1]– قال اِبن عاشور في تأويل الخطاب في الآية الأولى والخطاب في: "**ترى**" للرسول صلى الله عليه وسلم أو كل من تأتي منه رؤية فلا يختص بها مخاطب " .التحرير والتنوير"ج7،ص376.وقال في توجيه الخطاب في الآية الثانية والخطاب لغير معين ويجوز أن يكون الخطاب للنبي ،المرجع السابق، ج19،ص233.

[2]–عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم ،ص42 .

[3] - سورة الحشر، الآية(21).

[4] - سورة الطور، الآية(7).

[5]–ينظر، بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ص236 .

[6]– المرجع نفسه، ص237.

ومواعظ واحتجاج ، وحِكم وأحكام ، وإعذار وإنذار ، ووعْد ووعيْد ، وتبشير وتخويف .....وغير ذلك من الوجوه التي يشمل عليها» [1] .

فالقرآن الكريم يقدّم نفسه على أنَّه « **"تغيير لوضع"** و **"حلّ لمعضلة"** و **" نبذ للعنف"** الذي هو عكس الحجاج **"واستجابة لسؤال أمَّة"** وكلُّها وجوه ذات علاقة بالحجاج ، فهو يرمي إلى تغيير وضع ذهني يترتّب عليه ضرورة تغيير وضع مادّي في آيات من قبيل :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾. و.[2]وقوله تعالى أيضاً:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨ ﴾. [3]فالخطاب القرآني في ذلك كلّه أنواع، فهو حسب الزّركشي خطاب « تهييج وإغضاب وتشجيع وتحريض وتنفير وتحبيب وتعجيز وتحسير وتكذيب وتشريف »[4]. والقرآن فضلاً عن كونه خطابًا موجّهًا إلى متلقٍّ فعلي أو مُحتمل، فهو مسرّح عليه تتحاور الذوات وتتجادل ويُحاجُّ بعضها بعضًا، تكثر فيه بصفة لافتة للاِنتباه حكاية أقوال الكافرين والرَّدِّ عليها (صيغة يقولون /قل وغيرها)، كما تكثر فيه حكاية أقوال المتخاصمين والمتخاطبين على اِختلاف أنواعهم ، وعمومًا تُمثّل مشتقّات مادّة **(ق و ل)** سواء كانت في سياق حكاية القول مجرّدًا أو حكاية القول والرَّد عليه ، أعلى نسبة تواتر في القرآن حوالي (1730) مرة بعد نسبة التّواتر الخاصّة باِسم الجلالة[5] .

---

[1]– أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن ،ص36.

[2] سورة يوسف الآية 2.

[3] سورة الزمر الآيتين 27،28.

[4]–الزركشي ،البرهان في علوم القرآن ،مرجع سابق، ص36.

[5]–"يُنظر":عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن الكريم ،ص : 43/42.

لقد نزل القرآن الكريم وفي العرب أفصح الفصحاء وأبلغ الخطباء ، وتحدَّاهم الله عزّ وجل أن يأتوا بمثله فلم يقدروا، كما قال تعالى:﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾.[1]فكان الِاحتجاج أحد وجوه الإعجاز الذي أنزله الله ليقع الاهتداء به .

المطلب الثالث:خصائص الحجاج القرآني:

يتميّز الخطاب القرآني بمجموعة من الطّرائق والعلاقات التي تتفاعل فيما بينها قصد التّأثير في المتلقّي بهدف الإقناع والإذعان أحيانًا، وإلى الِاستمالة والتّغيير أحيانًا أخرى ومن هذه الخصائص نجد:

أ-خاصّية الدّينامية النّفسية والِاستمالة العاطفية :

تأتي فعّالية الخطاب الحجاجي من « طريقة بنائه وتفاعل عناصره ودينامِيَّة مُكوناته فالاقتصاد في الأدلة الحجاجية مثلاً يكون له دورٌ مهم في عملية الإقناع، إذ المبالغة في سرد الحجج في غير مناسبة يُفقد الحجاج فعاليته وقوّته ، فهذا ما يقتضيه المقام وسياق الحال » [2].كما يتميّز الحجاج القرآني بميزة التّأثير في القلوب، واستمالة النفوس دون التّغلغل في التّدقيقات والجُزئيّات التي لا يفهمها غالبية النَّاس، فنجده في تأمّل الإنسان لملكوت السّماوات والأرض، وِاستعراضه لهذا الحشد الذي لا يحصى من الأنواع والأجناس والهيئات والأحوال والأوضاع والأشكال، فتستشعر قلوبهم هذا الوجدان الخاص وجدان التّقوى الذي يدع هذه القلوب تُستمال، وتتأثّر وتستجيب لمظاهر القدرة والإبداع معجزات الخلق المعروضة للأنظار والأسماع [3].

---

[1] -سورة الطور الآية 43.

[2]-فايزة بوسلاح، خصائص الحجاج في الخطاب القرآني،مجلة الحضارة الإسلامية،العدد26 ،ص57 .

[3]- " ينظر":فايزة بوسلاح، خصائص الحجاج في القرآن الكريم ،مرجع سابق، ص580 .

وفي القرآن الكريم تقع آيات التّرغيب والتّرهيب ضمن الإستراتيجية وهي كثيرة جداً غالبة طاغية ومقصدها « الزّجر من اِرتكاب محظور، أو الحثّ على اِمتثال مأمور، وغاية الكل صلاح الفرد وفوزه ونجاته من النّار نحو قوله تعالى:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ الإسراء: ٩ - ١٠ .[1]»[2]

يمكن القول إنّ القرآن الكريم يسعى إلى « التغيير في البناء النفسي للفرد من خلال اِستعمال اِستمالات التّخويف أو التّهديد ، فالآيات القرآنية التي تعمل على إثارة التّوتّر العاطفي نتيجة اِستمالات التّهديد أو التّخويف...،ومن خلال تجريب هذه التّوصيات وتدعيمها فإنّها تتحوّل إلى عادات سلوكية »[3]. وهذا جوهر الإستراتيجية الدّينامية النّفسية للإقناع.

ب-خاصية التّفاعل و التّجاوب :

يذهب طه عبد الرحمان بقوله إلى أنّ لفظ "**الحجاج**" يدلّ على معنى «"**التّفاعل** " حتى إنَّ ما سواه من مظاهر التّفاعل إن تبادلا للتأثير أو تناقلا للتغيير أوترابطا وظيفيًا أو حتى تجاوبا وجدانيا، تبدو لنا موضوعة على قانونه، ومفهومه على مقتضاه، أي أن الحجاج أصل

[1] -سورة الإسراء الآية9-10.

[2] – معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم؛ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،قطر ،ط1، 2003/1424،ص:78.

[3] – "ينظر":معتصم بابكر مصطفى، من أساليب الإقناع في القرآن الكريم،ص83

في كل تفاعل، كائنًا ما كان »[1].أي أنّ الخطاب الحجاجي يتميّز عن باقي الخطابات الأخرى بكونه خطابًا موجّهًا وهادفًا مبنيًا بناءً اِستدلاليا يتم فيه اللّجوء إلى الحجّة والاِستدلال وإلى المنطق والعقل، وموجّها مسبقًا بظروف تداولية تدعو إليها مواقف قولية أو اِجتماعية أو ثقافية أو علمية وتتطلّب الدّفاع عن الرّأي أو الاِنتصار لفكرة ما، أو تتطلّب نقاشًا حجاجيًّا بهدف تعديل فكرة أو نقد أطروحة أو جلب اعتقاد أو دفع انتقاد»[2].

ج- خاصية المقاصد و الغايات :

إنَّ القرآن الكريم هو كتاب موجّه إلى عامَّة النَّاس، يخاطب البشريَّة جمعاء لإقناعهم بأنّ الله واحد لا شريك له، كما أنّ القصد والغاية من نزوله هو إصلاح وهداية الناس بمعنى أنه يرمي إلى « تغيير وضع قائم، أو واقع حادث، فيصلح الكفّار بدعوتهم إلى الإيمان ويصلح المؤمنين بتقويم سلوكهم، وتثبيتهم على الهداية وإرشادهم إلى سبل النّجاح وتزكية النّفوس »[3]. فهو إذن عمل غرضه أن يغيّر وضعا قائما نحو الأفضل.

إنّ الحِجاج هو البديل عن العُنف في نظرية الحجاج إذ يمكن حسب "**بيرلمان**" و"**تيتكا**" أن نسعى إلى تحقيق النتيجة نفسها بِاعتماد « إحدى الوسيلتين :"**العنف أو الخطاب الإقناعي**" والقرآن الكريم من هذه النّاحية هو خطاب حجاجي ينبذ العنف في قضية الإيمان»[4] فجاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾[5]. ويقول أيضاً: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي

---

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ،ط1 1998 ،المركز الثقافي العربي ،ص229 .

[2]- فايزة بوسلاح، خصائص الحجاج في القرآن الكريم،مرجع سابق ،ص582 .

[3]- ابن عاشور، التحرير و التنوير،ج1 ، الدار التونسية للنشر،تونس، ص81 .

[4]- عمران قدور، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني،ص27 .

[5] -سورة يونس،الآية99.

ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦ فتقرير الآيتين عدم إكراه المرء على الدّخول في الإسلام، وإنّما يعتنقه بإرادته واختياره .

و عليه فإنَّ خاصّية الخطاب الحجاجي القرآني ومقصده الأعلى ، هي دعوة العباد إلى الله تعالى فلذلك نجد أبا حامد الغزالي قد حصر قصص القرآن وآياته في ستّة أنواع :**ثلاثة** منها سمّاها "**السّوابق والأصول المهمّة**" ، و**ثلاثة** سمّاها "**الروادف والتوابع المتمة**" أمّا الثلاثة المهمة فهي: تعريف المدعو إليه ، وتعريف الصّراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السّلوك إليه وتعريف الحال عند الوصول إليه ، وأما الثّلاثة المغنية المتمّة:**فأوّلها:** أحوال السّالكين و النّاكبين **وثانيها:** محاجّة الكفّار ومجادلتهم ، **وثالثها:** تعريف العمارة ومنازل الطرق »[1].فأمّا أحوال السّالكين فيقصد بها « قصص الأنبياء و الرسل : كقصة آدم عليه السّلام ، ونوح عليه السلام وإبراهيم عليه السلام ، وموسى عليه السلام وغيرهم ، بالإضافة إلى ذكر الملائكة أيضا، وأمَّا أحوال الجاحدين والنّاكبين فهي قصص المنكرين والمشركين كقصّة النّمرود ، وفرعون وعاد وقوم لوط، وعبدة الأوثان وغيرهم »[2].

منه نستخلص أن خصائص الحجاج القرآني تتميز بمجموعة من المميزات أهمها:

- أنه خطاب محكم البِنية والأسلوب والدلالة ،ولا يحتمل المغالطة أو التّلبيس أو الطّعن في العِرض ، وبناء القضية وإقامة الحجّة.

[1]- أبو حامد الغزالي: جواهر القرآن، تح محمد رشيد رضا القبّاني ،دار احياء العلوم، بيروت ص23 .

[2]- فايزة بوسلاح : خصائص الحجاج في القرآن، مرجع سابق، ص583 .

- أنّ معظم الحجاج فيه دليل واقعي ملزم بإيجاد المثيل أو البديل أوالنّقيض وأنّه يجمع بين الحجاج اللّغوي والحجاج المنطقي.
- أنه متنوع :خطاب موجه أو حوار أو حديث أو شكوى أو مُناجاة أو دعاء.....

-أنّه متعلّق بالسّياق اللّغوي ، ومتفاعل مع السّياق الخارجي الذي أنتج فيه.

- أنّه يستدعي الحدث القديم ، فيعرضه في الحال حيًّا مجسّدًا بالحركة والصّوت والصّورة في مقامه الذي حدث فيه.
- أنّ المكان والزّمان من عناصره التّوثيقية التي تؤرّخ الحدث المحكي.

- أنّه يُسند القول والحدث إلى صاحبهما دون إضمار أو إبهام.
- أنّه يُوظّف المؤثّرات الصّوتية والمجازية والنّفسية، التي تلعب دورًا في الحجاج والإقناع.
- أنّه يُحمل على وجوه لغوية وسياقية و مقاصدية .
- أنّه يعتمد على مسلّمات عقلية مقبولة وأدلّة واقعية ثابتة.
- أنّه موجز اللّفظ في غير خلل ، وغزير المعنى من غير زلَل ، ومؤنس في وحشة ومعرض في سُؤلة ، وصادق في مُدحة ، ومتجافٍ عن الإبَاحَة [1]

[1] "ينظر":محمود عكاشة: تحليل الخطاب، دار النشر للجامعات، القاهرة، دط،2014،ص:403.

المبحث الثّاني: الخطاب والإقناع ودلالة الحجاج في القرآن الكريم

المطلب الأوّل :الحجاج والخطاب

تكمن حجاجية الخطاب القرآني وقوّته في توفّر مجموعة من العناصر التي من شأنها أن ترقى به إلى تحقيق ما يصبو إليه من إقناع وتأثير فالخطاب هو عبارة عن « متوالية من الأقوال والجمل ومجموعة من العلاقات الدلالية المنطقية القائمة بينها ، أو بتعبير حجاجي مجموعة من الحجج والنّتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق »[1]. من بين هذه العناصر الألفاظ والتّراكيب والعلاقات النّحوية ، الرّوابط والعوامل الحجاجية والإِستراتيجيات الحجاجية.

ذلك أنَّ « الفعّالية الحجاجية للخطاب الطّبيعي تعني أنّ الملفوظات لا تندفع في الكلام لتصف وتشرح أو تعبّر وتبني فقط بل لتحاجج كذلك ، فإذا كانت اللّغة سلطة فإنَّ القُوَّة الدّافعة لهذه السّلطة هي الحجاجية أي درجة الإقناع التي تتراتب في سلّم واحد ، بل الخطابات المتوازية التي تدَّعي الحقيقة لنفسها ، وهذه القوّة الحجاجية تحصل بفصل إعادة الإِعتبار للذّات المتكّلمة **(الكاتب/الخطيب)** والمتلقّي**(القارئ/السامع)**، وليس للخطاب نفسه إذ هو ممرٌّ وانتقال»[2]. فتتحدد مكانته من خلال النّسج والبناء والتّأويل وكفاءة المرسل وللمتلقّي دور في ذلك.

إنّ للحُجج في الخطاب طابعًا خَاصًا فهي تسعى إلى إقناع المتلقي لأنّ« في كلِّ خطاب مكانًا معيّن للحقيقة وإنّما يحتاج إلى حجّة في الخطاب الطّبيعي ليتمظهر في جوهر الوجود ويصل إلى مقامات الأغراض والأفعال المُنجزَة ... »[3]، ولهذا فاللغة الطّبيعية هي

---

[1]– أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة،لبنان،ط1، 2010، ص:18.

[2]– ناصر عمارة :الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف،ط1، 2009، ص:120.

[3]– المرجع نفسه، ص:121.

خطاب العلل التي نحاجج بها في الإثبات والنّفي والتقرير والوصف والشّرح والفهم، فالبحث في الحجاج يسعى إلى اِكتشاف منطق اللّغة والخطاب معاً، أي يسعى إلى « اِكتشاف القواعد الداخلية للخطاب ، والمتحكمة في تسلسل الأقوال والجمل وتتابعها بشكل متنام وتدريجي »[1]. إذن الحجاج حسب هذا التصوّر يتمثّل في إنجاز تسلسلات اِستنتاجية داخل الخطاب وهذه التّسلسلات تكون كامنة في الحجج.

من خلال ما سبق نستنتج أنَّ الحجاج لا يكمن في الجملة أو القول فقط بل ، يتعدّى ذلك إلى الخطاب والحوار حيث تظهر وجوه اِستعماله وطرائق اِشتغاله ، من خلال توفّر مكوّناته وعناصره واِستعمالاته المتعدّدة ،وبهذا التّصور يُحقّق الحجاج مقصديته، ومتى تحقّق القصد فذلك هو التّأثير والإقناع.

المطلب الثّاني :الحجاج والإقناع:

إنَّ الغاية من الحجاج هو الإقناع وفق آليات لغوية وبلاغية تكمن في ثنايا الخطاب وعليه يكون تعريف الإقناع حسب اِبن منظور على النحو الآتي:

«أقنع إقناعًا ، واِقتَنع اِقتناعًا ، وقد عبّر عنه القرآن الكريم ، باِطمئنان القلب نحو قوله تعالى :﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠ ﴾ الأنفال: ١٠» أنَّ التّأثير أعم من الإقناع لأنّه إبقاء الأثر في الشّيئ والتّأثير في الشيئ هو إبقاء الأثر فيه ، فالتّأثير هو القبول والاِنفعال و الإقناع يلي التأثير فهما وجهان لهدف واحد ، والمتلقّي لا يقتنع إلاّ بعد التّأثّر[2].

[1]– أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ص:13.

[2] ابن منظور :لسان العرب،ج4،مادة "أثر".

مثال ذلك :"**الخطاب القرآني والخطاب الشّعري**"، بحيث يتميّز الخطاب القرآني عن الخطاب الشّعري بالتّأثير والإقناع فالتّأثير يخاطب القلب والوجدان ، أي يخاطب في الإنسان إنسانيته ومشاعره المختلفة من الخوف والحذر والإشفاق وغيرها.....أما الإقناع فيخاطب في الإنسان عقله المفكر الذي يختبر الفكرة ويتفحصها حتى إذا اقتنع بها استقرت يقينا»[1]. إذن الإقناع عملية عقلية أمّا التأثير فهو شعور وجداني.

إنَّ الحجاج نظرية لسانية تَهتم بالوسائل اللّغوية و « بإمكانات اللّغات الطّبيعية التي يتوفّر عليها المتكلّم ، وذلك بقصد توجيه خطابه وِجهة ما ، تمكِّنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية ، ثمّ إنّها تنطلق من الفكرة الشّائعة التي مُؤدّاها: «**إنّنا نتكلّم عامّةً بقصد التّأثير**»[2].تنبه القدامى إلى هذا التّأثير الذي هدفه إقناع المتلقّي ، فقد أورد الجاحظ في البيان والتّبيين خبرًا مَفادُه « أنَّ شيخًا من الأعراب تزوّج جاريةً من رهطه وطَمَع أن تلِدَ له غلامًا فولدت له جارية ، فهجرها وهجر منزلها وصار يأوي إلى غير بيتها ، فأنشدت تقول:

مـَا لِأبـِي حَمـزَة لا يَأتينـَا يظلّ في البيتِ الذي يلينـَا

غَضْبانَ أن لا تَلـِدَ البنينـَا تالله ما ذاكَ في أيـدينـَا

وإنَّـمَا نأخذُ مَـا أُعطينَـا

فلمّا سمع الأبيات ولج إليهما وقبَّل اِبنته وقال ظلمتكما وربّ الكعبة »[3].

فيمكن القول أنّ البلاغة الحجاجية هي « تاريخ الخطاب إذ كل الخطابات التي أسّست نفسها كخطابات فاعلة ونوعية هي التي أقنعت، والإنسان "**قناعة** "،ففي كلّ فكرة يقتنع بها

---

[1]– المرجع السابق،ص:104.

[2] –قدور عمران: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني؛ص:30.

[3]– الجاحظ:البيان والتبيين.دار الجبل.ص43.

الإنسان يوجد عمل يترتّب عنها وإلتزام عملي يقوم به »[1]، وبالتّالي يوجد نشاط حجاجي في الفكرة.

يُعرِّف "**توماس شايدل**" الإقناع بأنّه محاولة واعية للتّأثير في السّلوك ، ويرى "**أوستين فريلي**" الحجاج والإقناع جزأين من عملية واحدة ولا إختلاف بينهما إلاّ في التّوكيد»[2]. أي أنّ كل إتصال هدفه الإقناع والإقناع لا يكون إلاّ بالحجج ، إذن الإقناع قصد الحجاج وغايته ، والغاية التي أُسِّسَ لها الخطاب القرآني هي « الخطاب الإقناعي ، وذلك أن الخِطاب القرآني هو في صميمه خطاب **(حقيقة)** يهدف إلى تمكين الحقائق التّعليمية التّشريعية في نفوس المتلقّين عن طريق التّأثير والإقناع ،فغاية الخطاب القرآني كانت بقصد الإقناع والحصول على إستجابة المتلقّي دون عنف أو إكراه»[3] .

إنَّ الغاية التي يتأسس عليها الخِطاب الإقناعي أو الحِجاجي هي مُجابهة العقول والعمل على إقناعها بالطّرح المقدّم فليس الحجاج في النّهاية سوى « دراسة لطبيعة العقول ثم إختيار أحسن السّبل لمحاورتها والإصغاء إليها ثم محاولة حيازة إنسجامها الإيجابي والتحامها مع الطّرح المقدّم ، فإذا لم توضع هذه الأمور النّفسية والإجتماعية في الحسبان فإنّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير»[4].

من خلال ما سبق نستنتج أنّ الخطاب الإقناعي لا يخرج في المجمل عن كونه محاولة واعية للتّأثير في السّلوك، فالخطاب ما هو إلاّ نشاط لساني مشحون بأنشطة فكرية تَنتج عنها آثار سلوكية تتشكّل في شكل مواقف ترتكز على المنطق وتوظيف الحجّة التي تتمكّن من النّفوس والعقول معا ، بقصد التّأثير والإقناع.

---

[1]– عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية،ص:122.

[2]– محمد العيد: النص والخطاب والاتصال،دط،2014،ص:149.

[3]– لطفي فكري محمد الجودي: جمالية الخطاب في النص القرآني،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة،مصر،ط1، 2014، ص:103.

[4]– المرجع نفسه،ص:106.

المطلب الثالث:دلالة الحجاج في القرآن الكريم:

وردت مادّة " **ح ج ج** " في القرآن الكريم في " **ثلاثة وثلاثين**" موضعًا، غير أنّ مفهوم البعد الدّلالي لمادّة "**ح ج ج**" دفعنا إلى عملية الفرز فوجدناها توجد في" **عشرين**" موضعا يمكن بيانها في الجدول الآتي([1]):

الآية	السورة	رقم الآية
﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۚ ﴿٧٦﴾﴾ البقرة: ٧٦	البقرة	76
﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ ﴿١٣٩﴾﴾ البقرة: ١٣٩	البقرة	139
﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴿١٥٠﴾﴾ البقرة: ١٥٠	البقرة	150
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ ﴿٢٥٨﴾﴾ البقرة: ٢٥٨	البقرة	258
﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾﴾ آل عمران: ٢٠	آل عمران	20
﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ آل عمران: ٦١	آل عمران	61
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٥﴾﴾ آل عمران: ٦٥	آل عمران	65
﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴿٦٦﴾﴾ آل عمران: ٦٦	آل عمران	66
﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ ﴿٧٣﴾﴾ آل عمران: ٧٣	آل عمران	73
﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴿١٦٥﴾﴾ النساء: ١٦٥	النساء	165
﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ ﴿٨٠﴾﴾ الأنعام: ٨٠	الأنعام	80

1- لمهابة محفوظ ميارة: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية،(مجمع اللغة العربية،دمشق،المجلد71،الجزء3)ص: 512/511

﴿ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي ﴿٨٠﴾ ﴾ الأنعام: ٨٠	الأنعام	80
﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ ﴿٨٣﴾ ﴾ الأنعام: ٨٣	الأنعام	83
﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ ﴿١٤٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٩	الأنعام	149
﴿ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ غافر: ٤٧	غافر	47
﴿ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ﴿١٥﴾ ﴾ الشورى: ١٥	الشورى	15
﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الشورى: ١٦	الشورى	16
﴿ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ﴿٢٥﴾ ﴾ الجاثية: ٢٥	الجاثية	25

من خلال هذه الآيات الكريمة وبالرّجوع إلى تفسير الطّاهر بن عاشور، نجد أنّ دلالة المصطلح تنحصر في المعاني التّالية: (**التّخاصم** و **النّزاع**، و**الجدل**، **التّحاور**، و**الخّلاف**) إلاّ أنَّ مصطلح "**الجدل**" هو أكثرها مقاربة له سواء من حيث وروده أو من حيث دلالته.

المبحث الثالث:الآليات الحجاجية

الحجاج له آلياته التي يختصّ بها و قد قسّمها عبد الهادي بن ظافر الشهري إلى ثلاث أقسام هي:

أوّلاً:-الأدوات اللّغوية :

تشمل هذه الأدوات مختلف الوسائل اللّغوية التي بواسطتها نحتجّ بهدف التّأثير والاقناع فمن هذه الأدوات نذكر:

1-ألفاظ التّعليل :

إذ تُعدّ ألفاظ التّعليل من الآليات اللّغوية التي « يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي ، وبناء حججه فيه منها : "**المفعول لأجله** ، **وكلمة السبب** ، **لأنّ**"، إذ لا يستعمل المرسل أيّ أداة من هذه الأدوات إلاّ تبريرًا أو تعليلًا لفعله، بناءً على ملفوظ به أو مفترض »[1] .

فهي تُساهم بشكل فعَّال في بِناء العملية الحجاجية ، وتوجيه وربط وترتيب الحجج بعضها ببعض وتجعلها مؤكّدة ، وهذا ما يزيد القول أو اللّفظ أو الخطاب قوّة حجاجية عاملة.

2-الأفعال اللّغوية:

يرى كل من : **(فان ايميرين وجروتندروست)** أنّ الأفعال اللّغوية « تُسهم بأدوار مختلفة في الحجاج بين طرفي الخطاب ، وتترتّب الأفعال حسب مقدار الإستعمال ،فالمرسل يستعملُ أغلب أصناف الفعل التقريري ليعبِّر عن وجهة نظره وليحدِّد موقعه من نقطة الخلاف ، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التّأكيد أو الادّعاء ،ولتدعيم وجهة نظره أو للتّراجع عنها عند إقتناعه بأنّها لم تَعُد صالحة ، كما يُعبّر بها عن تنازله عن دعواه وكذلك لتأسيس النّتيجة »[2] .

وقد صنّف **سيرل,(Searle)** الأفعال اللّغوية إلى صنفين:

أ-أفعال إلتزاميّة:

---

[1]- إبن ظافر الشهري:إستراتيجيات الخطاب،ص:478.

[2]- الشهري : نقلا عن Frans H .Van Eemeren and Rob Grootendorst :Analyzing argumentative discourse ;In Robert TRAPP and JANICE Schuetz(ed) perspectives on argumentatio ;Ibid P .p86-106.

وهي الأفعال المستعملة في التّعبير عن قبول وجهة النّظر أو الرّغبة في الحجاج أو عدمه ، كما تُستَعمَل أيضا في دعم موقف المرسِل الذي اِتّخذه للتّعبير عن الموافقة على مناصرة الدّعوى أو رفضها ومعاداتها و اِتّخاذ القرار ببدء النّقاش مع الموافقة على ضوابطه.

ب-الأفعال التّوجيهية :

حينما يستعمل المرسل الأفعال التّوجيهية لا يستعمل جميع أصناف هذه الأفعال وذلك نظرًا لطبيعتها التي لا تناسب ما تقتضيه طبيعة النّقاش ، لذلك يقتصر المرسل على البعض منها :كأفعال التحدي مثلا للدفاع وجهة النظر ، أو طلب الحجاج [1].

ويُعدُّ الاستفهام من أنْجع الأفعال اللّغوية حجاجاً ، وهو« ما يُتَوسَّل به الكثير في فعلهم إذ إنّ طرح السّؤال يمكن أن يُضخّم الاِختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطَب لا يشاطر المتكلّم الإقرار بجواب ما ، كما يمكن أن يلطّف السّؤال مابين الطّرفين من اِختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلّم ».[2]

ج-الحجاج بالتّبادل :

أي أنّ المرسِل يحاول بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين ، وذلك ببلْورة علاقات متشابهة بين السّياقات ، كما يمكن أن تكون الحجج نقْلا لوجهة النّظر بين المرسل والمرسل إليه وذلك في مثل الخطابات التالية:

- ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة.

- عَامِل النّاس كما تُحبّ أن يعاملوك.

---

[1]- "ينظر":عبد الهادي بن ظافر الشهري، اِستراتيجات الخطاب،ص478.

[2]- الشهري: استراتيجيات الخطاب ،ص:484. نقلا عن القارصي ،ص:399.

- لا ترضى لي إلاّ ما ترضاه لنفسك [1].

3- الوصف :

يشمل عدد من الأدوات اللّغوية منها:

أ- الصّفة :

تُعدُّ الصِّفة من الأدوات اللّغوية التي تمثّل « حجّة المرسل في خطابه وذلك لإطلاقه لنعت معين في سبيل إقناع المرسل إليه»[2] .

ب-اسم الفاعل :

يعتبر اِسم الفاعل من نماذج الوصف الذي يُدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجّة ليصوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد ، لتتبني عليه النتيجة التي يرومها .*

أي: أن المتكلم يُدرج في خطابه اِسم الفاعل من أجل إدراج الحجج القويّة التي منها يتوصّل إلى النّتيجة المراد تحقيقها.

ج-اسم المفعول :

---

[1]- ."ينظر"الشهري ،اِستراتيجيات الخطاب ،مرجع سابق ،ص:478

[2]- المرجع نفسه ص:488.

*وذلك انطلاقا من تعريفه بأنه اسم مشتق يدل على معنى مجرد حادث وعلى فاعله :فلابد أن يشتمل على أمرين معاً هما المعنى المجرد الحادث وفاعله ودلالة اسم الفاعل على المعنى المجرد الحادث أغلبية لأنه قد يدل-قليلا- على المعنى الدائم أو شبه الدائم ...ودلالته على ذلك المعنى لا المجرد مطلقة أي لا تفيد النص على أن المعنى قليل أو كثير فصيغته الأساسية محتملة لكل واحد منها . عباس حسن النحو الوافي،ج3،ص:201.

يُصنَّف اِسم المفعول على أنَّه من الأوصاف الحجاجية المستعملة، وهو« اِسم مشتق يدل على معنى مجرد ، غير دائم ، ويدل أيضا على الذي يقع عليه المعنى ، فلابدّ أن يدلّ على الأمرين معاً،مثل:أنا مظلوم أنصفوني »[1].

د-تحصيل الحاصل :

هناك من يعدّ الخطابات مجرّد «حشو أو تحصيل حاصل لا تقدّم شيئًا في الخطاب والحق أن كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالته الحجاجية »[2].

ثانيا:الآليات البلاغية :

يوظّف المرسل الآليات والأساليب البلاغية لما لها دور في تقوية الحجج وزيادة درجة الشّحن بهدف التّأثير والإقناع ، و من بين الآليات البلاغية التي تساهم وتعمل على إقناع المتلقّي نذكر:

1-تقسيم الكل إلى جزء:

قد يذكر المرسل « حجّته كلّيًا في أول الأمر ، ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها ، إن كانت ذات أجزاء ، وذلك ليحافظ على قوّتها الحجاجية ، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه »[3].

2-الإستعارة:

1- الشهري،اِستراتيجيات الخطاب،مرجع لسابق، ص:489.

2- المرجع نفسه.

3- الشهري ،اِستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص:494.

تُعرَّف الإستعارة الحجاجية بكونها تلك الإستعارة التي تهدف إلى« إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقّي لذلك يوظف المرسل أو المتكلّم الاستعارة في خطابه كونها أبلغ من الحقيقة حجاجيًّا ، وهذا ما يريد الوصول إلى تحقيقه »[1].

3- التّمثيل :

ويعني« عقد الصّلة بين صورتين ليتمكّن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه»[2].

4- البديع :

فصور البديع بإختلاف أشكالها لها دور حجاجي لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه حتى لو اِعتقد النّاس غير ذلك »[3].

فأساليب البيان مثل : المقابلة والجناس والطباق وغيرها ، ليست اصطناعا للتّحسين والبديع ، وإنّما هي أصلا أساليب للإبلاغ والإفهام والتّبليغ [4].

وإجمالا فإنّ هناك أدوات كثيرة وآليات متعددة تُسهم في « بناء الخِطاب حجاجيًا بما يتناسب مع السّياق ، إذ يتمكّن المرسل من اِختيار ما يفي بقصده ويحقّق هدفه الإقناعي»[5].

ثالثا : الآليات شبه منطقية:

يُجسّدها السلم الحجاجي(**Echell argumentative**) بأدواته وآلياته اللّغوية.

-تعريفه :

---

[1]- ."ينظر":المرجع نفسه، ص:494.

[2]- المرجع السابق،ص497.

[3]- المرجع نفسه ص:494.

[4]- ."ينظر": المرجع نفسه ، ص498

[5]- الشهري ،اِستراتيجيات الخطاب، مرجع سابق ، ص:499.

يُعرَّف السّلّم الحجاجي بأنّه: مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبية وموفّية بالشّرطين التاليين:

أ- « كل قول يرد في مرتبة ما من السلم يلزم عندما يقع تحته بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى على جميع الأقوال التي دونه »[1].

ب-«كل قول كان في السلم دليل على مدلول معين كل ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه »[2].

نقول بأنّ «ملفوظين ب وبَ ينتميان إلى نفس القيمة الحجاجية المحددة بملفوظ أ.في هذه الحالة ، نقول بأن الحجتين(ب وبَ) تنتميان إلى نفس السلم الحجاجي »[3].

فالسلم الحجاجي هو« علاقة ترتيبية للحجج ، فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معيّنة فإنّ هذه الحجج تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي »[4].

ويتميّز السلم الحجاجي بأنّه « إذا كان القول "ب" يؤدّي إلى النّتيجة "ن" فهذا يستلزم أن "ج" أو"د" الذي يعلوه درجة يؤدّي إليها،والعكس غير صحيح»[5]. مثل:

"**الحجة الثالثة** : حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

الحجة الثانية : حصل زيد على شهادة الماجستير

الحجة الثالثة :حصل زيد على شهادة الثانوية

---

[1]- نفسه ص:477.

[2]- طه عبد الرحمن:اللسان الميزان ص:277.

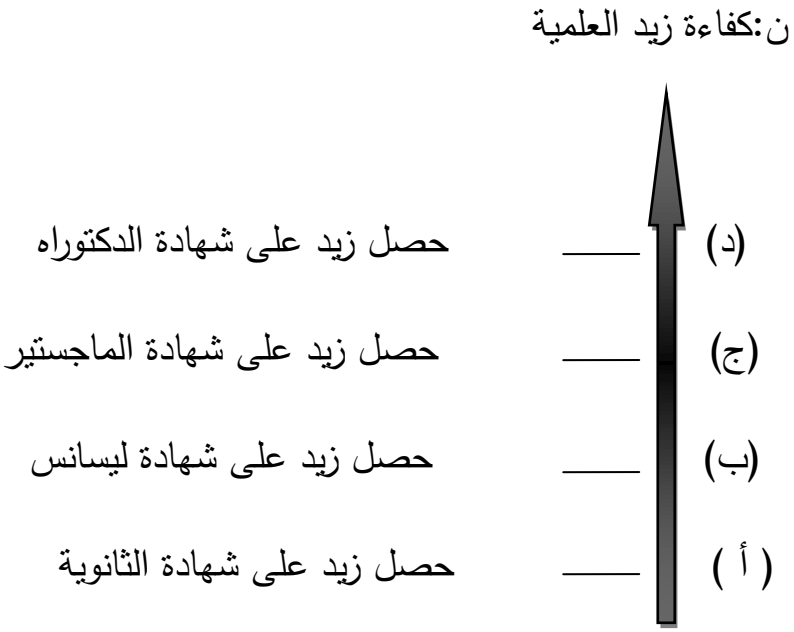
[3]- عمران قدور: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني،نقلا عن Une èchelle argumentative est donc une classe argumentative orientèelbid p281.

[4]- عمران قدور:البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني،ص33.

[5]- حمو النقاري: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه وضوابطه،ط1 ، النجاح الجديد ،الدار البيضاء،2006/1427،ص:59.

النتيجة : "كفاءة زيد العلمية" [1].

يمكن تمثيل ما سبق على النحو التالي:



2- **قوانين السلم الحجاجي** :

تنقسم إلى ثلاث قوانين أهمها:

1- قانون الخفض

2- قانون تبديل السلم

3- قانون القلب[2].

---

[1]- "ينظر":المرجع نفسه ص:59.

[2]- ينظر:الشهري : مرجع سابق،ص:500.

3-وسائل السلم الحجاجي: وهي كالتالي:

- **الأدوات اللّغوية** : كالروابط الحجاجية مثل : (بل، لكن، حتى ،فضلا عن) والسمات الدلالية ودرجات التوكيد.
- **الصيغ الصرفية مثل** : (أفعال التفضيل ، وصيغ المبالغة)
- **المفهوم** : الموافقة والمخالفة.
- **حجة الدليل** [1].

[1]- المرجع نفسه ،ص:508.

تمهيد:

لقد تميّز خطاب المرأة عن أشكال الخطابات الأُخرى في أساليب التّعبير والتّأثير والإقناع والحجاج ، ويظْهر من خلال السّورة أنّ النّساء المذكورات وُهِبْن أساليبَ حجاجيّة إقناعيّة تفَوَّقْنَ فيها على بعض الرجال في بعض المقامات، وأنّهُنَّ في خطابهِنّ العفْوي يُؤَثِّرن في المُتلقّي أكثر من غيره، كما اِسْتَطَعْن أن يَسلِبْن ويُذْعِنّ بأسلوبهِنّ عقولًا، ويُغيِّرْن أفعالاً وسوف يَتبيَّن فيما يأتي أنّ المرأة قد تكون أكثر حِنْكةً وفصاحةً من الرجل في إقامة الحجّة، وتتمتّع بآلية متميّزة للتّأثير والإقناع، ويُمكِن التَّعرُّف على خصائص خطابها في ضوء معطيات البلاغة واللّغة والنّحو، لنُثْبِت أنّ المرأة تملك تقنية خطابية قد تتفوَّق فيها على الرجل في بعض المشاهد.

التّعريف بسورة القصص:

أوّلاً- تَسميتُها:

اِشتهرت السّورة عند العلماء بسورة القَصَص، وكذلك جاءت تسميتُها في كتب السنّة المطهّرة، أمّا عن سبب تسميتها بهذا الاِسم، فذلك لوقوع لفظ القصص فيها في قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] ولا يُعرَف لهذه السُّورة غير هذا الاِسم [2].

ثانيا: تَرتيبُها وعدد آياتها:

تُعدُّ سورة القصص من السّور المكّية التي جاء ترتيبها في سوَر المصحف العثماني **(الثامنة والعشرين)**، كما تُعدُّ السُّورة **(التاسعة والأربعين)** في ترتيب نزول السُّوَر، فقد نزلت بعد سورة النّمل وقبل سورة الإسراء، أمّا عن عدد آياتها فهي: **(ثمان وثمانون)** آية.

[1] -سورة القصص، الآية (25).

[2] – اِبن عاشور، التحرير والتنوير، ج20 ، ص: 61.

ثالثا– السّورة ومقاصدها الرّئيسية :

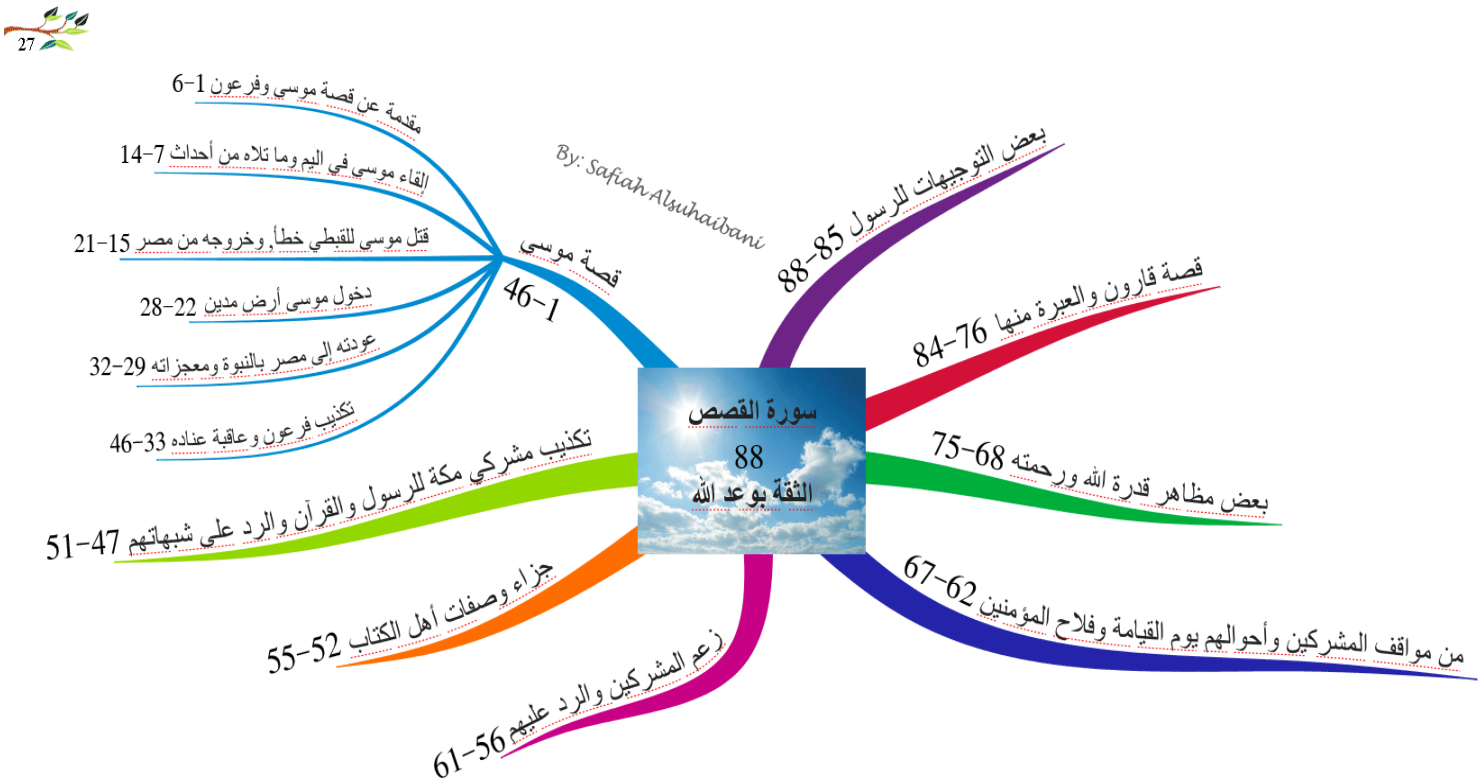
سُمِّيت بسورة القصص لِما فيها من البيان العجيب لقصّة موسى عليه السلام من حين ولادته إلى حين رسالته ، وقد اِتّضح فيها لُطْف الله بالمؤمنين وخُذلانه للكافرين ، وذُكِر فيها قارون من قوم موسى. كما تَحْوي ثلاثة جوانب لقصّة موسى عليه السلام ،**(الميلاد والرّسالة، وفرعون)**، وهنا لابُدّ من الإشارة إلى أنّ للمرأة دورًا بارزًا ومؤثرًا جدًّا في قصّة سيّدنا موسى عليه السلام ، من أُمّه التي استجابت لوحْي الله، إلى زوجة فرعون التي ربّته كاِبْن لها ، إلى أخت موسى التي دلّت آل فرعون على أهل بيت يكفلونه (أي أُمّه)، إلى دور اِبنة الرّجل الصّالح التي تزوّجها فيما بعد.

فالقصص القرآني في هذه السّورة مدح المرأة وأثنى عليها ثناءً جميلا ووصفها بأجلّ الصّفات وألْبَسها ثوْب العِزّة والطُّهر والعفاف، فقد صوّرها القرآن الكريم أُمًّا رَؤُوفًا عَطُوفًا حنونًا تطيع أمْر الله وتُسلِّم زِمامَها لشرْعه ، صوّرها أُختًا حريصةً حنونةً ورِثَت حنانها وعطفها من رحم الأُمومة ، عضوًا قويًّا أمينًا متينًا، تُعين على نوائب الحقّ وتَرُدُّ كيْد الكائدين وصوّرها رحيمةً شفوقةً مرهفةً، تُسخِّر كلّ قِواها فتسدُّ خُلَّة في البناء الشّامخ العظيم، صوّرها اِبنةً ليّنةًعفيفةً بالغةَ الحياء، راضيةً بما منحها الله قانعةً برِزْقه جلّ وعلا، واثقةً بأنّ الله سيجزيها خير الجزاء .

فقد ذكرت الآيات الكريمة طُغْيان فرعون واستِعْبَاده بني إسرائيل، وأمْره بقَتْل كل من يُولَد من ذكور بني إسرائيل[1]، وكيف أنّ الله نجّا موسى من كيْده، كذلك وحْيُ الله لأُمّ موسى

[1]– ذكر السُّدِّي عن أبي صالح و أبي مالك، عن ابن عباس، و عن مُرَّة عن ابن مسعود، و عن أُباس من الصحابة: أنّ فرعون رأى في منامه، كأنّ نارا أقبلت من نحو بيت المقدس فأحرقت دُور مصر و جميع القبط ولم تضر بني إسرائيل ، فلمّا استيقظ هاله ذلك، فجمع الكهنة و الحذقة والسّحرة ،و سألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء(بني إسرائيل)،يكون سبب هلاك أهل مصر على يديه، فلهذا أمر بقتل الغلمان و ترك النّسوان. "ينظر": ابن كثير: قصص الأنبياء، تح أحمد محمود الخولي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط2 ،2002 ، القاهرة، ص: 255.

فإذا بها تُلْقيه في اليمّ خوفًا عليه من القتل إلى أن وقع بين يدي زوجة فرعون فكان قُرَّةَ عيْنٍ لها وعَدُوًّا وحزْنًا على زوجها وأتباعه. عاش في كنف فرعون وفي قصره دون أن يدري بأنّ هذا الغلام سيكون سببا في هلاكه إلى أن أصبح موسى شابًّا وهنا بدأت دعْوَته للنّاس بضرورة توحيد الله، قتل نفسا فخاف أن يتآمر عليه النّاس لقتله، فدعا الله وخرج من المدينة حتى وصل إلى مَدْيَن وتزوّج فيها، وبعد عشر سنوات خرج منها إلى الطّور، فكلّم الله فبيَّن الله له معجزات وهيّئها له ، وأمره بأن يسير إلى قوم فرعون يدعوهم إلى الإيمان بالله ، وكيف أنّ فرعون علا وتجبّر فأهلكه الله وجعله عِبْرَةً للعالمين، فالسّورة الكريمة تبيّن أنّ وَعْد الله حق يتحقّق دائما. والرّسم التّالي يختصر ما قلناه[1]:



[1] –صفية عبد الرحمان السحيابني: الخرائط الذهنية لسور القرآن الكريم، د ط، د ت ، ص :27.

آليـات الحجاج في خطـاب المرأة :

تتمثّل المدوّنة المُعْتَمدة في تحليلنا النّص القرآني لما فيه من الأساليب الإقناعية والتّأثيرية في: " **سورة القصص**" و التي نسعى من خلال دراستنا لها إلى الكشف عن الآليات الحجاجية في خطاب المرأة فيها، حيث جَمَعْنا بين "**التّداولية والحجاج**" في اِستخراج هذه الآليات ، كما طبّقْنا آليات الحجاج على الآيات التي فيها خطاب للمرأة ، سواء كان خطابًا موجّهًا إليها من ربِّ العِزّة أو هي من توجّه الخطاب.

المبحث الأول: خطاب أمُّ موسى عليه السلام:

هي المرأة التي أكرمها الله بالوحي يُقال إنّ اِسْمَها: « "**أَيَارْخَا**" وقيل" **أَيَاذَخْت**" »[1]، كان وَحْيُ الله لها مُرْشِدًا ودليلاً، أكرَمها بالبُشرى والطَّمأنينة، وألقى في خُلدِها ورَوْعِها ألاّ تخاف ولا تحزن وصدَق الله وعْده و رَدُّهُ إليها ردًّا جميلاً وجعْلِه نبيًّا مُرْسَلاً [2].و من الآيات الممثِّلة لخطاب أمّ موسى عليه السّلام نذكر قوله تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[3] .

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ

---

[1] –اِبن كثير، قصص الأنبياء، تح: محمد السيد، تق: محمود المصري، مكتبة أبو بكر الصديق، القاهرة، ط1،2002 ، ص:363.

[2]– " ينظر": المرجع نفسه، ص:363.

[3]– سورة القصص ،الآية (7).

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1]

﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[2].

فحوى الخطاب:

وُلِدَ موسى عليه السلام في السّنة التي يُقْتَل فيها الوِلْدان، وكان لفرعون أُناسٌ مُوَكَّلون بذلك، وقَوابِلٌ يَدُرْنَ على النّساء، فمن رَأَيْنها قد حملت أحصوا اِسمها، فإذا حان وقت ولادتها لا يقْبلها إلاّ نساء القِبْط، فإذا ولدت المرأة جارية تَرَكْنَها وذَهَبْن، وإن ولدت غلاماً دخل أولئك الذبّاحون، بأيديهم الشِّفَار المُرهفة قتلوه ومضوا[3].

فلمّا حملت أُمّ موسى به عليه السلام، لم يظهر عليها مخايل الحمْل كغيرها، ولم تَفْطِن إليها الدّايات، ولكن لمّا وضعته ذكرًا ضاقت به ذرْعًا وخافت عليه خوفا شديدًا، وأحّبته حُبًّا شديدًا، وكان موسى عليه السلام لا يراه أحدٌ إلاّ أحبَّه. فلما ضاقت ذرْعًا به ، أُلْهمت في سرّها وألْقى في خُلْدِها ونَفَث في رَوْعِها[4]، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾[5] .

---

[1] – سورة القصص ، الآية(11/10).

[2] –القصص،الآية(13).

[3]–"ينظر": ابن كثير تفسير القرآن العظيم، ج6، ص:222.

[4]– "ينظر": نفس المرجع ، ص:222.

[5]–سورة القصص،الآية (7).

وإذا رجعْنا إلى كتاب" **تفسير القرآن الكريم**"، لِابن عثيمين نجده يقول في الآية: قوله تعالى :﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ٧ ﴾ القصص: ٧ : وحي إلهام أو منام ، **فوحي الإلهام:** هو ما يعطيه الله تبارك وتعالى في نفس الموحى إليه، وهناك "**وحي النوم**" لأنّ الرّؤيا الصّالحة جزء من **(ستة وأربعين)** جزءاً من النُّبُوَّة، ففي الآية الكريمة وحْي، ولكن ليس بوحْي نُبُوَّة ، لأنّ الذي أوْحى إليها ليس بشرْع، بل هو أمر بإرضاع موسى لأنّه لم تُبْعَث واحدة من النّساء لتكون نبيّة [1]،و مثال ذلك قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ ﴾[2].فالوحي هنا إمّا إلهام أو منام، فالإلهام ليس بشيئ غريب أن تُلْهَم اِمرأة بما يكون في مصلحتها، فاِختلف العلماء في نوع الوحْي، فهناك من يقول: إنّه" وحي إلهام" ، وبعضهم يقول: إنّه" وحي منام". وقوله تعالى:﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ ٧ ﴾. يعني أُمّه التي ولدته .

وقوله تعالى أيضا: ﴿ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ ٧ ﴾ هنا دليل على خوفها من فرعون و آله الذين كانوا يبحثون عن الأولاد ليقتلوهم. و قوله أيضا:﴿ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ ٧ ﴾. واليمّ في هذه الآية النّيل[3].

---

[1]–"ينظر": ابن عثيمين: تفسير القرآن الكريم–سورة القصص–مؤسسة الشيخ العثيمين الخيرية، السعودية، ط1، 1436 ، ص: 25.

[2] –سورة يوسف،الآية (109).

[3]– "ينظر" ابن عثيمين: تفسير القرآن الكريم، سورة القصص، ص:26 .

ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيۖ ۝٧ ﴾ وهو من الغرائب أن يُلْقى من يخاف عليه فيما فيه هلاكه، لأنّ إلقاءَه في البحر معناه اِستعجال الهلاك له فمن آيات الله عزّ وجل أن يُلْقي موسى في مكان الخوف، فلا يموت و يعيش بين أحضان فرعون، وهذا من الآيات الدّالّة على كمال قدرة الله عزّ وجل ، وأنّ الله إذا حمى أحدا فإنّ الأسباب المؤدّية إلى الهلاك لا تؤثّر ولا يكون لها تأثير، وأمّا قدرة الله فهي فوق الأسباب فالنّار محرقة بلا شك ولكن صارت على إبراهيم بردًا وسلامًا[1] .

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَخَافِي ۝٧ ﴾ معناه : لا تخافي غرقه .وقوله: ﴿ وَلَا تَحْزَنِيۖ ۝٧ ﴾معناه: لا تحزني لِفراقه ،لأنّ الحزن يكون في الماضي، والخوف في المستقبل، فما أهمّ الإنسان إذا كان مستقبلا فهو خوف، وإن كان ماضيًا فهو حزن، فهنا قال الله لها: ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيۖ ۝٧ ﴾ ،فإنّ الأمر سيكون على خلاف ما تتوقّع ولهذا قال: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾، أي: مُرْجعوه إليك ، وهذه بِشارة فوق البِشارة الأولى وهو أن يكون هذا المولود ممّن أرسلهم الله تبارك وتعالى[2].

فالآية الكريمة فيها:" **خبران، أمران، نهيان، وبشارتان**".

إذ الخبران: قوله تعالى: « **أوحينا إلى أمّ موسى**»، وقوْله تعالى : « **فإذا خفت** ».

و الأمران: فقوله تعالى: « **أرضعيه** »، وقوله: « **فألقيه**».

و النّهيان : قوله تعالى: « **ولا تخافي ولا تحزني**».

---

[1]–"ينظر" : ابن عثيمين: تفسير القرآن الكريم، سورة القصص ، ص:26.

[2]–"ينظر" :المرجع نفسه ، ص:27.

وأمّا البشارتانّ فقوله تعالى: « **إنّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين**»[1].

فأمّا قوله تعالى:﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾[2] أي: « فارغا من ذكر كل شيئ ما في قلبها إلاّ موسى »[3]. أي فارغا من أمور الدنيا إلاّ من موسى عليه السلام.

﴿ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ ﴿١٠﴾ ﴾، أي أنّها « من شدّة خوفها وحزنها وأسفها كادت أن تُظْهر بأنّه ذهب لها ولد وتُخبر بحالها لولا أنّ الله ثبّتها وصبّرها»[4].

وقوله تعالى:﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ ﴿١١﴾ ﴾أي:« أمرت اِبنتها بتتبّعه وكانت كبيرة تعي ما يُقال لها، **(قُصيه)**: أي: اتّبعي أثره وخُذي خبره، وتطلّبي شأنه من نواحي البلد، فخرجت لذلك **(فبَصُرَت به عن جُنبٍ)**»[5].

قوله تعالى:﴿ فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا ﴿١٣﴾ ﴾ بلقائه ،﴿ وَلَا تَحۡزَنَ ﴿١٣﴾ ﴾ حينئذ،﴿ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴿١٣﴾ ﴾ بردّه إليها ،﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ أي: النّاس لا يعلمون بهذا الوعْد ، ولا بأنّ هذه أخته وهذه أمّه، فمكث عندها إلى أن فطمتهُ»[6].

---

[1]– "ينظر": اِبن عثيمين، تفسير القرآن العظيم ،ص:28.

[2]– سورة القصص،الآية(10).

[3]– "ينظر": اِبن عثيمين، تفسير القرآن العظيم ، ص : 47.

[4]–"ينظر": اِبن كثير: تفسير القرآن العظيم ، ص: 222.

[5]–المرجع نفسه: ص : 222.

[6] –ابن عثيمين: تفسير سورة القصص، ص:56.

آليات الحجاج في خطاب أمّ موسى عليه السلام:

1-الأدوات اللغوية:

أ-الأفعال اللغوية:

يُعدّ الأمر والنهي من الأفعال الإنجازية التي تهدف إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين . فالأمر من الأساليب الإنشائية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كما يُعدّ من الخصائص اللغوية في الحجاج وهو« طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء وله أربع صيغ: (فعل الأمر، المضارع المقترن بلام الأمر، اسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعله)»[1].

فقوله تعالى:﴿**أن أرضعيه**﴾ : فعل توجيهي غرضه الإنجازي : توجيه الله عزّوجل أمّ موسى ، وغرض الأمر في قوله "**أرضعيه**" : الطلب.

والفعل الكلامي "**ألقيه**": أيضاً فعل توجيهي، وهو محاولة توجيه الله عزّ وجل المخاطب(أمّ موسى) بغرض الأمر، وهو تعبير لما أراده الله عزّوجل هدفه التوجيه. وقد جاء الفعلان الإنجازيان :(**أرضعيه وألقيه**) توجيهيان لأمّ موسى عليه السلام بهدف النّصح، لأنّها كانت تشعر بالخوف فأوْحى الله إليها ألاّ تخاف ولا تحزن.

وعليه فإنّ فعلي الأمر(**أرضعيه وألقيه**)، يكتسبان بعداً حجاجياً، إذ تضمّنا حجة تفضي إلى نتيجة، لذلك أمر الله عزّوجل أمّ موسى بإرضاعه وإلقائه في اليم، فالمسار الحجاجي لهذه الأفعال يمكن تمثيلها كما يلي:

[1] -أحمد المراغي: علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية ، لبنان،ط3، 1993، ص:77.

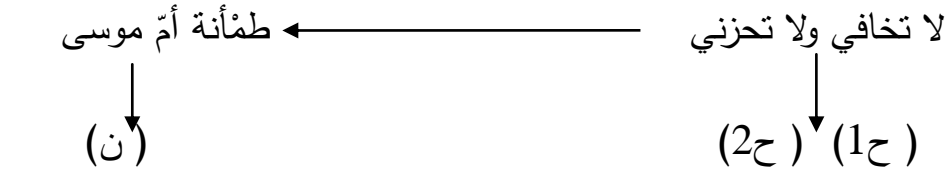


وفي موضع آخر قوله تعالى: ﴿**وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغا**﴾ ،بحيث يندرج الفعل الكلامي في الآية الكريمة ضمن البَوْحِيَّات أو التّعبيريات، غرضها الإنجازي هو التّعبير عن الموقف أو تبيين ما يشعر به المتكلّم حِيَالَ الواقعة وهو الحزن، أي أّنه أصبح فارغا من شواغل الدّنيا إلاّ من موسى حتى كادت تفقد عقلها ، وسيطر على قلبها الخوف والحزن حين سمعت بوقوعه في يد فرعون، وكانت من شدّة حزنها أن تُظهِر أنّه ذهب لها ولد.

فالآية الكريمة تدلّ على فعل إنجازي تعبيري، وهو عاطفة أمّ موسى بعد إلقائه في اليم.

قوله أيضا:﴿**قالت لأخته قصّيه**﴾ أي: قالت أمّ موسى لابنتها تتبّعي أثره واطْلُبي خبره وهذا بعد أن ألقَتْه في اليم، فأخذت تنظر إليه وفعلت ما أُمرَت به، فالفعل الإنجازي" **قصّيه**" غرضه : التوجيه ، جاء بصيغة الأمر وهي : أمر أمّ موسى عليه السلام لابنتها.

أمّا الفعل اللّغوي المتمثّل في النّهي :«**لا تخافي**» و« **لا تحزني**» ،فهذان الفعلان يفيضان رحمةً بأمّ موسى عليه السلام، فالفعل :**(لا تحزني)** فيه وجهان: أحدهما: لا تحزني على فراقه، أمّا الثّاني: لا تحزني أن يُقتل. ففي هذا الخطاب مواساة من الله عزّوجل و توجيه لأمّ موسى عليه السلام إلى سلوك معّين وهو طمْأنة فؤادها، لأنّ الله وعدها بأنّه سيردّه إليها و النتيجة يمثلها هذان الفعلان والحجة صريحة.



تتعاضد أفعال الكلام السّابقة كلّها لتنتج طاقة حجاجية تثبت نتيجة واحدة، فدور معظم أفعال الكلام الخبري منها والإنشائي تهدف إلى الإقناع، وهي تقنيات حجاجية تَوَفَّرَ عليها خطاب أمّ موسى عليه السلام.

ب- ألفاظ التّعليل:

نحو قوله تعالى:« **لتكون من المؤمنين**». فهنا نجد أنّ : « اللّام للتعليل ،والمعلَّل : ربط القلب، أي أنّ الله ربط على قلبها لهذه الغاية لتكون من المؤمنين، وليس المراد الإيمان الجديد لأنّها مؤمنة بلا شك، ودليل ذلك أنّها امرأة أَلْقَت ابنها ثقةً بوعْد الله عزّوجلّ، ولكن المراد هنا بالإيمان: الإيمان الزائد عن أصله يعني: التّثْبيت واليقين».[1]

ومن أمثلته كذلك: استعمال "**كي**" النّاصبة للفعل المضارع في قوله تعالى: «**كي تقرّ عينها ولا تحزن**»، فالتّعليل هنا واضح، أي: كي تقرّ عينُها بلقائه ولا تحزن على ما مضى بل يزول عنها الحزن وينفيه عنها لأجل أن يبيّن أنّ القرّ كاملٌ.[2]

كما نجد التّعليل أيضا في قوله تعالى:« **ولتعلم أنّ وعد الله حق**»، أي: لتعلم أنّ وعْد الله بردّه إليها حقٌّ ، هذه العلّة سبقت لأنّها منذ أن ألْقته في اليم قد علمت أنّ وعْد الله حق.

فتأكيد حرف" **كي**" بمرادفه وهو "**لام التعليل**" للتنصيص، معطوف على الفعل المثبت لا على الفعل المنفي؛ كما أنّ نصب الدليل لها إثبات على أنّ وعْد الله حق [3]. أي: علمت ذلك وحدها وأكثر القوم لا يعلمون ذلك.

و في موضع آخر نجد ما يسمّى بالتّعليل المضمر الذي نقف عنده لتوضيحه، نحو قوله تعالى: «**إنّا رادّوه إليك**» ،إذ أنّها وقعت في «موقع علّة للنّهيين(لا تخافي ولا تحزني)،

---

[1]- ابن عثيمين: تفسير سورة القصص، ص : 45.

[2]- "ينظر": المرجع نفسه، ص:59.

[3]- "ينظر" : إبن عاشور، التحرير والتنوير،ج20، ص:85.

لأنّ ضمان ردّه إليها يقتضي أنّه لا يُهلك وأنّها لا تشتاق إليه بطول المغيب»[1]،فتقدير الكلام: "لا تخافي ولا تحزني لأنّنا سنردّه إليك ونجعله من المرسلين".

كذلك لدينا: «**إنَّا**» : وردت بضمير الجمع للتّعظيم، فالله عزّوجل يُخبِر عن نفسه بصيغة التّعظيم، تأكيدا على قوّة قدرته، حتى تقْتنع أمّ موسى بوحْي الله لها وتزداد ثقةً بوعْده جلّ وعلا.

ج-الوصف:

يندرج ضمنه اِسم الفاعل الّذي له دور فعّال في عملية المحاجّة:

-اِسم الفاعل:

يعتبر من « نماذج الوصف التي يُدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجة ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، لتبنى عليه النتيجة التي يرومها»[2] . نحو قوله تعالى :«**إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين**»، إذ: "**رادّوه**": اِسم فاعل مؤكّد. فقد وعد الله بإعادة المولود إلى أُمّه، و يدلّ على معنى حادث وعلى فاعله. **فالمعنى الحادث:** هو المعنى المتجدّد بتجدّد الأزمنة، أي استمرار المعنى و تجدُّده، كما يحمل **معنى الاستقبال**، وهو وعْد الله حتى تكون من المصدّقين بوعْده. فالنّص القرآني آثر الجملة الاسمية على الجملة الفعلية في قوله: "**إنّا رادّوه**" و لم يقل: "**سنردّه**" ونجعله من المرسلين لأنّ الجملة الاسمية "**رادّوه**" أأكد على الجملة الفعلية "**سنردّه**" دلالةً على الاعتناء بالبشارة، كذلك أنّ الجملة الإسمية تفيد الثبوت والاستمرار، فهذا التركيب يدل على ثبات المعنى و استقراره و تأكيده.

2-الآليات البلاغية:

[1]- اِبن عاشور: التحرير والتنوير، ج20، ص:75.

[2] - الشهري: اِستراتيجيات الخطاب، ص:488.

تُعدّ البلاغة آلية من آليات الحجاج، حيثُ تبرز فيها آليات جمالية تعمدُ إلى التّأثير في المتلقي و تستميلهُ منها : التشبيه و الاستعارة والكناية.....، كما أنّه قد يتم «عَزْلُها عن سياقها البلاغي لتؤدّي وظيفة جمالية إنشائية فحسب (كما هو مطلوب في سياق البلاغة)، بل تؤدّي وظيفة إقناعية استدلالية كما هو مطلوبٌ في الحجاج».[1] وسنحاول في الآيات الكريمة التطرّق إلى أهم الآليات البلاغية في الآية الكريمة:

أ-الشرط:

يقوم الشرط في العربية على أمرين : (الشرط و جوابه)، وقد ورد مرّتين في خطاب أمّ موسى عليه السلام. ويُعدّ سمة جوهرية للنّص الحجاجي، إذ يُسهم في بناء الاستدلال وفق الوجهة التي يرغب فيها المحاجج، ذلك أنّه أسلوب الشرط على التلازم الضروري بين فعل الشرط وجوابه، وقد ورد في قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾[2].

أداة الشرط:(إذا)، **جملة الشرط:**(خفت عليه)، **جملة جواب الشرط:**(فألقيه في اليم).

ذكرت الآيات في سياق جملة الشرط، أنّ الله تعالى أوْحَى إلى أمّ موسى بواسطة الإلهام أن تُرضعه، ثم ذكر بعدها فعل الشرط وهو: "**إذا خفت عليه**" الذي يتضمّن مؤشّرات لغويّة توجّه المستمع إلى جهة الجواب الملائم لأداة الشّرط فليكن جوابه: "**أن تلقيه في البحر**"، فاستعمل أداة الشرط (**إذا**) ، التي تفيد تأكيد وقوع فعل الشرط، فتوظيفها في الآية الكريمة حقّقت مقاصد حجاجية لا تتم إلاّ بها من أجل حمل المتلقي على الإقتناع بالنّتيجة،

[1]- صابر الحباشة: التداولية والحجاج ،مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، سورية، ط1 ،2008، ص:50.

[2] -سورة القصص،الآية (7).

من أمّ موسى عليه السلام وهو الخوف عليه من فرعون وجنوده، وعليه يتحقّق جوابه المرتبط به قطعاً.

وفي موضع آخر: قوله تعالى :﴿ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ فالأداة : **(لولا)** : حرف شرط غير جازم ،وجملة الشرط:**(أن ربطنا على قلبها)**.

(أن): حرف مصدري ونصب لا محل له من الاعراب.

(ربطنا): فعل ماض مبني على السكون، لاتّصاله بنا الفاعلين في محل نصب وهو فعل الشرط **(نا)**.

وجملة جواب الشرط: جواب الشرط محذوف، لأنّه تقدم في السياق ما يدل على الجواب المحذوف والتقدير "**لولا أن ربطنا على قلبها لأبدت به**".[1]

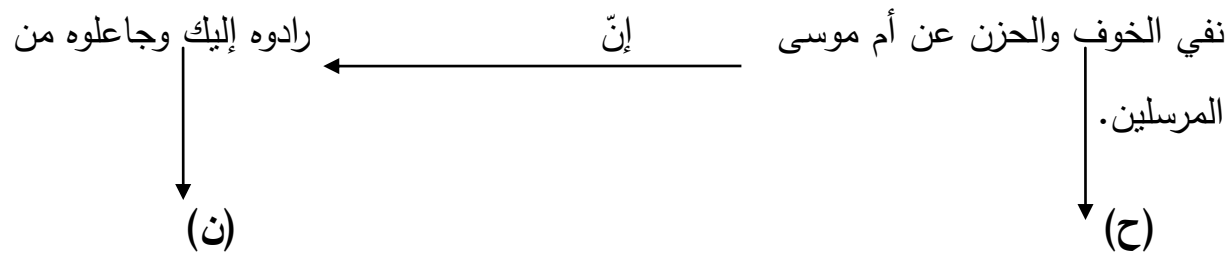
تُخبر الآية الكريمة في سياق الجملة الشرطية أنّ الله ربط على قلب أمّ موسى وثبّتها حتى لا يقع منها جواب جملة الشرط المحذوف لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: "لولا أن ربطنا على قلبها لأبدت به " وامتنع جواب الشرط وهو" الإبداء" وذلك لوجود فعل الشرط الذي يعمل على توجيه المتلقي وهو" الربط على قلب أمّ موسى عليه السلام".

ب- التّأكيد:

إنّ المتكلّم لا يؤكّد كلامه إلاّ إذا كان المخاطب في حاجة إلى ذلك، و سنقف في خطاب أمّ موسى على عرض أسلوب التوكيد ومحاولة تلمّس الوجه الحجاجي فيه:

[1]- محمود صافي : الجدول في إعراب القرآن، القرآن وصرفه وبيانه، مؤسسة الإيمان، لبنان، ط3،1995، ص: 227.

فقد أكّد الله عز وجل لأمّ موسى عليه السلام ردّ ولدها بالمؤكّد:(**إنّ**) ذلك لنفي خوفها وحزنها عليه ، و يمكن تصويرها كالتالي:



و قوله تعالى :« **إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها** ».

(ح) : تُبْدي به ← لام التوكيد ← **(ن)**: كتمان أم موسى.

فالتّوكيد هنا يحمل الحجّة التي تفضي إلى الإقناع بنتيجة واحدة هي: الكتمان بأنّه ضاع لها ولد، كما يُعدّ أساسياً في البناء الحجاجي إذ يلعب دوراً مهمّا في إقناع المخاطب.

ج-الإستعارة:

نحو قول أمّ موسى :« **وقالت لأخته قصّيه فبصرت به** »، والقصّ كما ذكرنا سابقا هو تتبّع الأثر، ونحن نعلم أن أمّ موسى عليه السلام رمته في البحر، فأين الأثر في البحر؟ فالاستعارة هنا من "**تتبّعيه بالأثر إلى تتبّعيه بالنّظر**" ،و لم تقل لها "**راقبيه**" لأنّها لا تفي بالغرض أي: تتبّعي أثره خطوة خطوة، ودليل ذلك قوله تعالى :«**فبصرت به**» ، " فالباء" تفيد شدّة المبالغة، ولم يقل: "**فأبصرت**" لأنّ" **بصرت**" أقوى وأبلغ من "**أبصرت**" ذلك لأنّها جاءت بعْدها به، أي: كأنّ عينها التصقت به[1].

[1]– محمد صافي المستغانمي: برنامج : في رحاب سورة، سورة القصص ، قناة الشارقة، الجزء3.

3-الآليات شبه المنطقية:

1-السلّم الحجاجي:

أشرنا سابقًا إلى أنّ السلم الحجاجي هو عبارة عن علاقة ترتيبية قائمة بين الحجج التي تنتمي إلى المجموعة الحجاجية الواحدة، بحيث يكون ترتيب هذه الحجج فيها بشكل عمودي، أي من الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى، فكل حجة ترد في درجة أعلى من التي قبلها، تكون هي الأقوى منها و الأقرب في التوجّه نحو النّتيجة.

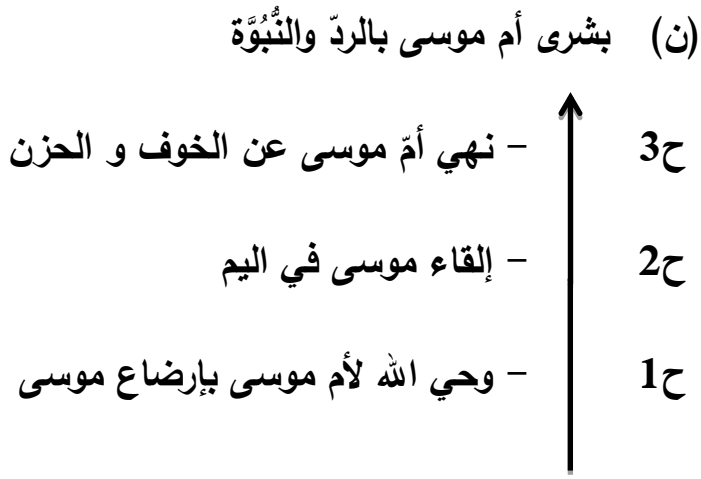
أ-حسن الترتيب:

نحو قوله: ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيۖ ۝٧ ﴾ ،قدّم الله عزّو جلّ الخوف على الحزن لأنّ هناك فرق بينهما من حيث الانفعال « فالخوف غمّ يلحق الانسان لمتوقّع والحزن غمّ يلحقه لواقع و هو فراقه و الاخطار به»[1] . فتقديم الخوف على الحزن إبراز أهمّية المتقدّم و تبيين الحالة النّفسية لأمّ موسى.

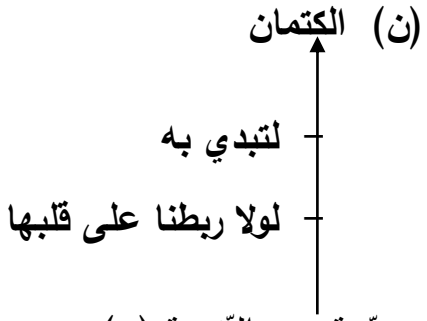
أي أنّ ظاهر ترتيب الأخبار أنّها يكون وفق « ترتيب مضامينها في الحصول، وهذا يرجع أن يكون حصول مضمون:« **وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغا**» سابقا على حصول مضمون:« **وقالت لأخته قصيه** » أي :قالت لأخته ذلك بعد أن اِطمأنّ قلبها لما ألهمته من إلقائه في اليم، أي لمّا ألقته في اليم، قالت لأخته: أنظري أين يُلْقيه اليم ومتى يُستخرج منه»[2]،و بالتالي ترتيبها الحجاجي يمكن تمثيله على النحو الآتي:

[1]- الزمخشري، الكشّاف ،ج2، ص:280.

[2]- اِبن عاشور، التحرير والتنوير،ج20 ، ص:85.



ونجد في مثال آخر تدرُّج الحجج في شكل عمودي لتدلّ على كتمان أمّ موسى عليه السلام ويمكن التمثيل لها بالشكل التالي:



حيث إنّ:**(ن)**= النّتيجة، و**(ح1 وح2)** حجج موجّهة نحو النّتيجة **(ن)**.

فوائد الآيات الكريمة:

- يكون الإنسان على حال، فإذا نزل به البلاء تغيّر حاله، فأمّ موسى عليه السلام كانت مطمئنّةً ولذلك وضعته في التّابوت ثم ألقته في اليم، وهذا يدل على أعلى درجات الطمأنينة، وبعدما فارقته صار قلبها فارغاً كأنه ليس في الدنيا سوى اِبنها.
- دليل على فضيلة أمّ موسى رضي الله عنها لكونها لم تُبْدِ ما في قلبها ، بل صبرت وثابرت لأنّها مؤمنة تثق بوعْد الله لها.

- دليل على أن الإنسان مفتقر إلى الله جلّ وعلا في جميع أحواله لقوله تعالى:﴿**لولا أن ربطنا على قلبها**﴾.
- دليل على إثبات العلل والأسباب لقوله تعالى: « **لتكون من المؤمنين**».
- دليل على أنّ الكمال في الرجال أكثر من النّساء، لأنّه لم يقل لتكون من المؤمنات.[1]
- قوله تعالى:« **قالت لأخته**» ولم يقل: " **قالت لابنتها**" ،كأنّها تريد أن تذكّر ابنتها بأنّ هذا أخوك ودليل أيضاً على أهمية رابطة الأُخُوَّة لأنّ الأخوّة آصرة قويّة ونافعة في هذه الآية.

[1]– "ينظر": محمد بن العثيمين: تفسير سورة القصص،ص:49/47.

المبحث الثّاني: خطاب اِمرأة فرعون:

هي النّموذج الفريد الطّاهر، جعلها الله مَثَلاً للّذين آمنوا في الحياة الدنيا والآخرة، ومع أنّها كانت تحت أعدى أعداء الله، "فرعون الطّاغية"، الذي اِدّعى الألوهية وتكبّر في الأرض وأظهر فيها الفساد. إنّها:« آسيا بنت مُزَاحِم بن عبيد بن الرّيّان بن الوليد، الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف، وقيل أنّها كانت من بني إسرائيل" سِبْط موسى"، وقيل كانت عمّته»،[1] وهي نفسها المرأة المؤمنة التي ضَرب الله بها المثل في سورة التحريم لقوله تعالى:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾[2] .

أشار إليها الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في حديثه الشّريف الّذي يرويه عنه أبو موسى الأشعري "رضي الله عنه"، يقول عليه أفضل الصّلاة والسّلام: « كَمُل من الرّجال كثير ولم يكْمُل من النّساء إلاّ آسيا اِمرأة فرعون، ومريم بنت عمران ،وإنّ فضْل عائشة على النّساء ، كفضْل الثّريد على سائر الطعام »[3] . فقد تَميَّزَت رضي الله عنها بالذّكاء والحَصَافَة، ويظهر ذلك من خلال التعبير القرآني على لسانها:﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾[4].

---

[1] –ابن كثير: قصص الأنبياء، ص:363.

[2] – سورة التحريم،الآية (11).

[3] – البخاري :صحيح البخاري ،كتاب فضائل أصحاب النبي ، باب مناقب فاطمة رضي الله عنها، ج2، ص: 264،حديث رقم 3769.

[4] –سورة القصص،الآية(9).

فحوى الخطاب:

خاطبت اِمرأة فرعون زوجها متأثرةً بمحبّة الطفل، اِلتقطنه الجواري في تابوت مغلق، فلم يتجاسرن على فتحه حتى وضعنه بين يدي فرعون ، فلمَّا فتحت الباب وكشفت الحجاب، رأت وجهه يتلألأ بتلك الأنوار النّبويّة ،فحين رأتْهُ ووقع نظرها عليه أحبّته حبًّا شديدًا جدًّا، فقال لها فرعون ماهذا؟ وأمر بذبحه، فاسْتوهبت منه ودافعت عنه، وقالت : «**قُرَّتُ عَيْنٍ لي ولَكَ**» فقال لها فرعونُ: أمَّا لكِ فنعم، وأمَّا لي فلا: أي لا حاجة لي به والبلاء موكل بالمنطق[1].

وقولها :« **عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا**»، قد أنالها الله ما رجت منه من النّفع، أمَّا في الدّنيا فهداها الله به، وأمّا في الآخرة فأسكنها جنّته بسببه «**أَوْ نَتَّخِذَهُ ولدا** » ، وذلك أنّهما لم يكن يولد لهما ولد «**وهم لا يشعرون**» أي: لا يدرون ماذا يريد الله بهم أن قبضهم لالتقاطه من النقمة العظيمة بفرعون و جُنُوده»[2] . وكانت اِمرأة فرعون «اِمرأة مُلهمة للخير وقدَّر الله نجاة موسى بسببها»[3] ، وقولها: «**لا تقتلوه**» يحتمل أيضًا أنها وجَّهت الخطاب لجنود فرعون بعدما أمرهم بقتله، ثُم قامت بتبرير النّهي عن قتله لسببين هما: الانتفاع به خادما، واتّخاذه ولدًا، فاستجاب الله لأمرها فأبقى عليه ولم يقتله. يقول ابن كثير رحمه الله : «أنّ فرعون لمَّا رآه همَّ بقتله خوفا من أن يكون من بني إسرائيل ، فجعلت امرأته آسية تُحاجُّ عنهُ وتذُبُ دونهُ، وتحبّبهُ إلى فرعون، فقالت: «**قُرَّتُ عينٍ لِيْ ولك**» ، فكان كذلك، وهداها الله به وأهلكهُ الله على يديه[4]، فقول امرأة فرعون :«**قرت عينٍ لي ولك**» ،إذ **(قرةُ عينٍ)**: «خبر لمبتدأ محذوف تقديرهُ: "**هذا الطفل**"، وحذفه دليل على حضوره بين أيديهم»[5].

---

[1]– ينظرّ" :اِبن كثير ،قصص الأنبياء، ص: 363.

[2]– ينظرّ" :المرجع نفسه، ص: 363.

[3]– الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج2، ص:77.

[4]– اِبن كثير: تفسير القرآن العظيم،ج6، ص:222.

[5]– اِبن عاشور: التحرير والتنوير،ج20، ص:78.

وقولها: «**لا تقتلوه**»، هنا الخطاب موجّه لفرعون، أرادت التوسّل والعطف والاسترحام بالطفل لأنّها أحبّته وقرّت عينها به، ذلك لأنّ الله ألقى عليه محبّةً في قلب كل من رآهُ لقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]، فضمير الجمع هنا للتّعظيم يُرَادُ به فرعون، نزّلتهُ منزلة الجماعة على وجه التّعظيم، حتى تكون درجة الإقناع أقوى، ويجوز أن يُراد به خطاب فرعون داخلاً فيه أهل دولته هامان والكهنة، واختلف المفسرون في: "**لا تقتلوه**" وقيل:« التفات عن خطاب فرعون إلى خطاب الموكّلين بقتْل أطفال إسرائيل»[2]، ولو« نصب لكان أقوى ، وقراءة ابن مسعود "رضي الله عنه" دليل على أنّه خبر. قرأ "لا تقتلوه قرّةُ عينٍ لي ولك" بتقديم «**لا تقتلوه**» على« **عسى أن ينفعنا**»، فإنّ فيه مخايل اليمن ودلائل النّفع لأهله ، وذلك لما عاينت من النّور...ولعلّها توسّمت في سيماه النجّابة المؤذنة لكونه نافعا أو تتبنّاه لأنّه أهل التبنّي»[3].

أجاز صاحب التّحرير و التّنوير أن يكون قولها: «**قرَّةُ عينٍ**» قَسَمًا، كما يُقال: أيمنُ الله، فإنّ العرب يُقْسمون بذلك، أي: "أُقْسم بما تقرُّ به عيني"، فتكون امرأة فرعون أقْسَمت على فرعون بما فيه قُرَّةُ عينها وقُرَّة عينه أن لا يُقْتَل موسى عليه السلام، إمّا أنّها قالت ذلك:« من باب التهدئة له ولتفرحه، وإمَّا أنّها قالت ذلك معتقدةً له، ولكن ليس من اعتقد شيئًا يكون الأمر على وفاق ما اعتقد، بل قد يخلف الله سبحانه وتعالى اعتقاد الانسان بحكمة يريدها، وهذا لا مانع من أن تقولهُ معتقدةً أنه سيكون قرَّة عينٍ لهُ ولها أيضًا وقوله تعالى «**عسى**» للتّرجّي، وقوله «**ينفعنا**» للخدمة، «**أو نتّخذه ولدا**» نتبنّاه»[4].

---

[1] – سورة طه،الآية (39).

[2] – اِبن عاشور:التحرير و التنوير ، ص:79.

[3] – أبي القاسم الزمخشري: الكشاف، دار المعرفة، بيروت لبنان ، ط 3،2009، ص: 795.

[4] – محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، ص: 39.

أمَّا قوله تعالى: «**وهم لا يشعرون**» فهذه الجملة الظّاهر أنّها« من كلام الله يعني : «**وهم**» أي: آل فرعون، "**لا يشعرون**" بعاقبة أمر هذا الولد، لأنّهم لو شعروا بعاقبة أمره لما قبلوا منها مشورتها»،[1] ولكن الله سبحانه وتعالى أعمى بصيرتهم عن ذلك، وقدّر أن يعيش موسى عليه السلام في كنف فرعون.

آليات الحجاج في خطاب اِمرأة فرعون:

1-الأدوات اللّغوية:

أ-الأفعال اللّغوية:

تُسهم الأفعال اللّغوية أدوارًا بارزة في الحجاج بين طرفي الخطاب، وقد صنّفها سيرل إلى أفعال اِلتزامية: بحيث يستعملها المخاطب في التعبير عن قبول وجهة النّظر أو الرّغبة في الحجاج أو عدمه، وفي تدعيم موقف المرسل الذي اتّخذه للتعبير عن الموافقة على تأييد دعواه أو معاداتها واتخاذ القرار ببدء النقاش مع الموافقة على ضوابطه[2].و مثال ذلك: قوله

تعالى على لسان امرأة فرعون:﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩ ﴾[3] .

وقوله تعالى:«**لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذهُ ولدا**» ، جاء الفعل الكلامي الإنجازي ضمن إطار التوجيهات بغرض النّهي، حيث نهت آسية زوجها عن قتل الولد ، فقدّمت حجّتين نافعتين المنفعة والتبنّي، حتى تُقْنِع فرعون ليُبْقي عليه ولا يقتله، فاِستجاب لأمرها ولم

---

[1]- محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم ، ص:40.

[2]- "ينظر": الشهري، استراتيجيات الخطاب ، ص: 482.

[3]-سورة القصص،الآية(9).

يقتله، فهذا الطلب **(لا تقتلوه)** مصحوب بحجّتين، فالحجة الأولى "نفعية"، والثانية "لاستمالة المخاطب(فرعون)واستعْطافه بإثارة شعور الأُبُوَّة".

أمّا قولها:« **عسى أن ينفعنا** »، فعل أدائي وظيفته: "**الترجّي في المأمول الغائب**"، لأنّها رأت فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة. «**عسى** »: للتّرجّي، أي ينفعنا للخدمة أو نتّخذه ولدا نتبنّاه، وفي مثل هذا السياق لأنّها تريد ترغيبهم في إبقائه، والتّرغيب في الإبقاء لا تذْكر فيه إلاّ الصّفات المرغوبة، وهي أن ينفع أو يُتّخَذُ ولدا»[1]، فهنا يظهر الوجه الحجاجي لما قدّمته زوجة فرعون من حجج أدْلت بها حتى تجعل المخاطب الّذي هو "فرعون" يقتنع و يقبل الرأي أو الفكرة.

و في قوله تعالى: «**وهم <u>لا يشعرون</u>**» ، هنا فيها كلام إمَّا من مقول امرأة فرعون آسيا ،وتقصد الأقباط وبنو اسرائيل أي لا يعلمون أنّنا استبْقينا ذكر لتربيته واِتّخاذه ولدا ،وإمّا تكون من كلام الله عزّوجل وهي جملة حالية.

فهنا يظهر الوجه الحجاجي لما قدّمته زوجة فرعون من حجج أدلت بها حتى تجعل المخاطب الّذي هو "فرعون" يقتنع و يقبل الرأي أو الفكرة. فهي بالتالي ضمنت اِقتناعه للنّتيجة المراد تحقيقها و إقباله عليها.

ب-ألفاظ التّعليل:

يعتبر التّعليل صورة من صور الحجاج ، لأنّه يقدّم فكرة ويبيّن سببها،« والنفوس أبعث على قبول الأحكام المعلّلة من غيرها»[2]

[1]- محمد العثيمين ،تفسير القرآن العظيم ، ص:39.

[2]- Ducrot et ANSCOMBER ;Largumentation dans la langue ;P30 نقلا عن حافظ إسماعيلي علوي الحجاج مفهومه ومجالاته، ص:66.

ولو تأمّلنا في القرآن الكريم لوجدنا أنّ التّعليل فيه كثيرٌ جدًا ، سواء كان صريحا أو ضمنيا ، نحو قوله تعالى: «**عسى أن ينفعنا**» وقعت في« موقع علّة لمضمون جملة «**لا تقتلوه**» والمعنى: لا تقتلوه لينفعنا، وهو بسبب من قوله تعالى: «**وألقيت عليك محبةً منّي**».(طه39) ، فاتّصالها بها كاتّصال جملة "**قرّةُ عينٍ لي ولك**" بها، فجعلت الوازع العقلي بعد النهي علّةً لِاحتياجه إلى الفكر، وجعلت الوازع الطّبيعي عن القتل وازع المحبّة »[1] فهي بذلك أرادت أن تُقْنِع زوجها بأنّ تربية هذا الولد نفعٌ لهما، لأنّه كان يقتل الذكور خوفًا من زوال ملكه، وفعلاً حدث ما كان يخافه، وكأنّه نسي ما كان يقوله له الكهنة، بأنّه سيأتي من يكون سبباً في زوال ملكه على يديه، فأنزلته اِمرأته منزلة من نسي ،فتقولُ له إنَّ شأن هذا الولد غير شأن بني إسرائيل الآخرين، وبالفعل أقنعتهُ واستجاب لأمرها ، فكان قرّة عين لها وحزنًا وعدوًّا لزوجها.

كما استعملت ضمير الجمع في قولها: «**لا تقتلوه**»، أنزلته منزلة الجماعة على وجه التّعظيم ،أي عظّمتهُ وأجلّتهُ حتى يوافق ويستجيب لما كانت تريده، كما يحتمل قولها:« **لا تقتلوه**» أنصار فرعون رجال دولته هامان والكهنة الذين ألقوا في نفس فرعون أنّ فتى من بني إسرائيل يُفسد عليه مملكته، فاستعملت صيغة الجمع حتى تستميله وتقنعه، وليس في خطابها تعريض به وحده بأنّه من وراء هذه المذبحة، بل جعلتهُ من تدبير حاشيته، وجعلت لفرعون منه حظ الواحد من الجماعة، كأنّها تعرض بأنّ القتْل لا يكون عن رأيه، فسهَّلَت له العُدُول عن الأمر. وتحتمل معنى آخر هو: لا تقتلوه أنتم بما فيه فرعون، أي أنت (فرعون) رأيك واحد، وهم لهم آراء ولكنّك أنت الحاكم والآمر.

وهنا نرى حجاجيّة ألفاظ التّعليل ومدى تأثيرها في العملية الحجاجية، و لها دور فعّال ومهم في عملية المحاجّة لما تُفْضيه من إثبات أو نفي.

[1]– ابن عاشور،:التحرير والتنوير،ج20، ص: 79

2-الآليات البلاغية:

أ-الكناية:

تُعدُّ الكناية من الوسائل البلاغية المعتمدة في التّحاجج، يقول الإمام الجرجاني في هذا الباب: « أمّا الكناية فإنّ السّبب في أن كان للإثبات بها مزّيةٌ لا تكون للتّصريح أنّ كل عاقل يَعلم إذا رجع إلى نفسه أنّ إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهدٌ في وجودها، أأكدٌ وأبلغُ في الدعوى من أن تجيئ إليها فتُثبتها هكذا ساذجاً غُفلاً».[1]

والمراد بها هاهنا: «أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له باللغة ، ولكن يجيئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعلهُ دليلاً عليه»[2]. وقد قال عنها الزركشي: « إنّ الكناية عند العرب تُعدُّ من البراعة والبلاغة، وهي عندهم أبلغ من التصريح»[3].

كما أنّ للكناية دورًا فعّالا في المحاجّة، فهي بمثابة الدليل الذي يلجأ إليه المتكلم لإثبات معانيه وإقناع متلقيه، ومثال حجة الكناية في خطاب امرأة فرعون:

قوله تعالى: ﴿ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ ﴿٩﴾ ﴾ : كناية عن السرور، وهي كناية ناشئة عن ضدّها وهو "**سُخْنَة العين**" -التي هي أثر البكاء اللازم للأسف والحزن-، فلما كُنّيَ عن الحزن بسخنة العين في قولهم في الدعاء بالسوء: أسخن الله عينه، وأتبعوا ذلك بأن كنّوا عن السرور بضدّ هذه الكناية فقالوا: "قرّة عين وأقّر الله عينه"، فحكى القرآن ما في لغة اِمرأة فرعون من دلالة على معنى المسرّة الحاصلة للنّفس ببليغ ما كنَّى به العرب عن ذلك ،وهو

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، مصر، ط3 ،1999، ص:72.

[2]- المرجع نفسه، ص:72.

[3] -بدر الدين الزركشي،البرهان في علوم القرآن، ت يوسف المرغلي وآخرون، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1،1990،ص: 410 .

«قرّة العين» ، ومن لطائفه في الآية أنّ المَسَرَّة المُغْنية هي مسرَّة حاصلة من مرأى محاسن الطفل كما قال تعالى:﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾[1]

طابق الكلام مقتضى الحال، والحال هنا حال استعطاف وشفقة من آسية لزوجها، وتبرير لعدم القتل، فالأصل أن تقول: «**قرَّةُ عينٍ لي**» مُستعطفةً زوجها ومُقنعة له بعدم قتْل الطفل وميلها إليه، «ولتفخيم شأن القرّة عَدَلَت عن: "**لنا**" إلى: "**لي ولك**"، وكأنّها تعلم من مزيد حبّ فرعون إيّاها، وأنّ مصلحتها أهم عنده من مصلحة نفسه، قدّمت نفسها عليه، فيكون ذلك أبلغ في ترغيبه بترك قتله»[2] ، وأتبعته ب:**(لك)** حتى ترغبه أكثر في بقائه.

ب-أسلوب الالتفات:

قوله تعالى على لسان اِمرأة فرعون قالت:﴿ لَا تَقْتُلُوهُ ﴿٩﴾ ﴾ ولم تقل "لا تقتله" لأنّها كانت تخاطب زوجها وهو شيئ من الالتفات ، فقولها لزوجها:« **قرّتُ عينٍ لي ولك**» ثُم التفتت إلى جنود فرعون أو قومه أو هامان أو أيًّا كان وقالت: «**لا تقتلوه**» وهذه تقنية بلاغية حجاجية لها دور في إقناع المخاطب. « فتقديم(**لا تقتلوه**) أبلغ في إقناعه، فقد أشركته في المنفعة، وأجاز الزّجّاج النّصب في قوله "**لا تقتلوه قُرّتَ عينٍ لي ولك**" وقالت:**(لا تقتلوه)** ولم تقل "**لا تقتلهُ**"، فهي تُخاطب فرعون كما يُخاطب الجبّارون، وقيل: قالت "**لاتقتلوه**" ، فإن الله أتى به من أرض أخرى وليس من بني إسرائيل»[3].

من منظور حجاجي، قد تبيّنت حجاجية الكناية و بلاغتها، وكيفية تأثيرها في المتلقي وجعله يُذْعِن و يقتنع بمختلف أساليبها و بلوغها درجة الإقناع.

---

[1] -سورة طه،الآية(39).

[2]- شهاب الدين الألوسي: تفسير روح المعاني، إدارة الطباعة المنيرية ، لبنان ، ج20،ص:48.

[3]-" ينظر":محمد القرطبي، المرجع السابق ، ص:236.

3-الأدوات شبه المنطقية:

1-السلم الحجاجي:

أ-حسنُ الترتيب:

نحو جملة﴿ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ ٩ ﴾ ، إذ أنّها وقعت « موقع التمهيد والمقدمة والعرض، وموْقع جملة: «**لا تقتلوه**» موقع التفريع عن المقدمة ولذلك فُصلت عنها»[1]، لو قالت: "**قرّةُ عين لك ثم لي**" ، لقال لها :لا أحتاج ولا أريده عندي من يخدمني ، بل قالت: "**لي ولك**" أي: فإذا أنت لا تريدهُ فأنا أريده ،أي أنّها استعملت أسلوب الاحتياط فبدأت بنفسها. ثُم ذكرت سبب اِستبقائه:﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ٩ ﴾. حتى تكون الحجّة أقوى، ويكون ترتيبها الحجاجي على النحو التالي:

(ن) : الترغيب

(ح2) – ولك

(ح1) – قرّة عين لي

وعليه فإنّ : **(ن)**= النتيجة و **(ح1،ح2)**:حجّتان موجّهتان نحو النتيجة :**(ن)**

فقد تدرّجت الحجج من الحجّة الأضعف إلى الحجّة الأقوى منها لتدلّ على ترغيب اِمرأة فرعون في موسى عليه السلام.

[1]-ابن عاشور: التحرير والتنوير ج20،ص:79.

ب-ألفاظ التعليل:

نحو جملة ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ ﴿٩﴾ ﴾ ، وردت في موقع علّة لمضمون جملة «**لا تقتلوه**»، والمعنى: "**لا تقتلوه لينفعنا**". أي :قدّمت "**لا تقتلوه**" ليكون قرّتَ عينٍ لها، فقدّمته حتى تستميل فرعون وجنوده ليكون التّأثير أقوى. فأقنعت فرعون « بقياس على الأحوال المجرّبة في علاقة التّربية والمعاشرة والتّبنّي والإحسان، وإنّ الخير لا يأتي بالشّر ولذلك وقع بعده الإعتراض بقوله تعالى:« **وهم لا يشعرون** »،أي: فرعون وقومه لا يعلمون خفي إرادة الله.»[1]

وفي موضع آخر: أسرعت إلى نهيهم ومنعهم قبل أن تقدم حجّتها

(ن) : استبقائه للمنفعة والتبني



ح2 – نتخذه ولدا

ح 1 – عسى أن ينفعنا

حيث : (ح1 ،ح2) :عبارة عن حجج

(ن) : النتيجة الضمنية.

فهي هنا تكون قد قدّمت حجّتين: الأولى: «**عسى أن ينفعنا**»، و الثانية فهي: «**أو نتخذه ولدا**» حتى تُذْعن عقل المخاطب الذي هو:(فرعون) ليستجيب لطلبها وهو عدم القتل.

[1]– ابن عاشور: التحرير والتنوير ،ص: 80.

فوائد الآية الكريمة:

- ✓ بيانُ فضيلة امرأة فرعون من قولها: «لا تقتلوه»، وهذا دليلٌ على حصافتها وفراستها ،لأنّها توقّعت أن ينفعهم ، وبالفعل حدث ما قالت فقد نفعها هي فقط، وضرّ زوجها.
- ✓ فيها دليل على ما قيل:(إنّ البلاء موكّلٌ بالمنطق) فامرأة فرعون تفاءلت عندما رأتهُ وقالت: «**قرّتُ عينٍ لي ولك** »،فتفاءلت به خيرًا، فحصل لها ذلك، وصار قُرّتَ عينٍ لها، وعدوًّا وحزنًا على زوجها.
- ✓ للأسلوب دورُ كبير في تحقق المقصود وإقناع المتلقي لقولها:«**قرّتُ عينٍ لي ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا**»، فإن هذا القول منها، سواءٌ كانت تتوقع ذلك، أولا تتوقعه، لابدَّ أن يكون سببًا في موافقة فرعون لما بلغهُ.
- ✓ تدلُ على أنّ فرعون همّ بقتل موسى وذلك يؤخذ من قول امرأة فرعون«لاتقتلوه».
- ✓ مهما علا الإنسان وتكبّر وتجّبر إلاّ أنّ علمهُ قاصر لقوله تعالى: «**وهم لا يشعرون**»[1].

[1]– "يُنظر": محمد بن العثيمين، تفسير سورة القصص،ص:64.

المبحث الثّالث: خطاب أخت موسى عليه السلام:

هي مريم أخت النّبي الكريم موسى عليه السلام، وابنة المرأة التي أوحى الله إليها أن تُرضع ولدها وتُلقيه في اليمّ، وأخت نبي الله هارون عليه السلام، فهي تنحدر من بيت نبوي عريق، وقد ذكرها القرآن الكريم مرّتين، مرّةً في سورة القصص إذ يقول تعالى :﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[1]. ومرّةً أخرى في سورة طه مخاطبًا عبدهُ موسى عليه السلام بقوله تعالى:﴿ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ ﴿٤٠﴾ ﴾[2] ، كانت أختًا معاضدةً ومساندةً لأُمّها وأخيها. فقد أحسنت صنْعًا حين أدْلت بدلوها وظهرت بمظهر النّاصح الذي مدَّ يد العون.

فحوى الخطاب:

قالت أم موسى لأخته(**قُصّيه**)،أي: اتّبعي أثره حتى تعلمي خبرهُ، «**فبصرت به**» : أبصرته، أي ما ذهبت بعيدا حتى رأته ، ، وقوله: «**فبصرت به عن جنب**» ،أي :من مكان بعيد اختلاسا، والاختلاس معناه المسارقة، أي كانت تنظر إليه دون أن تَحدَّ النظر إليه، فلو أنّها فعلت وأقبلت إليه مسرعة وظهرت منها علامات على أنه مقصودها لعرفوا منها ذلك، ولكنها جعلت تنظر إليه خلسة حتى لا يشعروا بها.

وقوله تعالى:« **وهم لا يشعرون** » أي: إنّ آل فرعون لا يشعرون أنّها أخته وأنها ترقبه

---

[1]–سورة القصص،الآية(12/11).

[2]–سورة طه،الآية(40).

فهذا إن دلّ فإنما يدل على ذكائها وشخصيتها.أمّا جملة: «**وهم لا يشعرون**» حال من فاعل «فبصرت» ،والجملة الحاليّة لا يشترط أن تكون وصفا لصاحب الحال.

«**وحرّمنا عليه المراضع من قبلُ**» أي: قبل رده إلى أمه، ومنعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمّه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له فقالت أخته: «**هل أدلّكم على أهل بيت**» لمّا رأت حنوا هم عليه «**يكفلونه لكم** » أي بالإرضاع وغيره ،«**وهم لهُ ناصحون**» حيث فسّرت الضمير: «**لهُ**» بالملك جوابًا لهم فأُجيبت، فجاءت أمّه عندها قبل ثديها وأجابتهم عن قبوله بأنّها طيّبة الريح طيّبة اللبن، فأذن لها بإرضاعه في بيتها فرجعت به [1]

لمّا قالت ذلك أخذوها، وشكّوا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه ورجاء منفعته، فأرسلوها، فقالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم، ذهبوا معها إلى منزلهم، فدخلوا به على أمّه فأعطته ثديها، ثم التقمه ففرحوا بذلك فرحا شديدا*.

آليات الحجاج في خطاب أخت موسى عليه السلام:

1-الأدوات اللغوية:

أ-الأفعال اللغوية:

قوله تعالى :﴿ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ لدينا الفعل :

---

[1]- "ينظر".محمد بن صالح العثيمين، تفسير القرآن الكريم، سورة القصص؛ص:55/51.

* يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير الآيات «أمرت ابنتها وكانت كبيرة تعي ما يقال لها فقالت لها:«قصيه» أي اِتبعي أثره وخذي خبره وتتبعي أثره، وخذي خبره، وتطلبي شأنه من نواحي البلد فخرجت لذلك فبصرت به عن جنُبٍ» أي جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده، وذلك أنه لما استقر موسى عليه السلام بدار فرعون ،عرضوا عليه المراضع التي في دارهم، فلم يقبل منها ثديا، وأبى أن يقبل شيئا من ذلك. فخرجوا به إلى سوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته بأيديهم عرفته، ولم تُظهر ذلك ولم يشعروا به، فرأتهم حائرين فيمن يرضعه قالت :«هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون». اِبن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص:222.

"**فبصرت**" :أي تترقبه وتتبع مواضعه، كما نجد: "**وهم لا يشعرون**" قيل لا يشعرون بأخته، ولم يشعروا بتتبّع أخته له.

و قوله تعالى على لسان أخت موسى عليه السلام:﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ القصص: ١٢ . الفعل الإنجازي "**أدلّكم**" في قولها فعل توجيهي، وهو اقتراح أخت موسى عليه السلام لزوجة فرعون، كان له تأثير في قبول واستجابة زوجة فرعون على اقتراحها، ممّا جعلها تُذْعِن و تَقْتَنِع به .ثمّ جاءت أمّ موسى إليها، وهذا يدلّ على تحقق وعْد الله.

ب-صيغة التنكير:

أبدت أخت موسى نفورا وعدم الرغبة حتى لا يُكتشف أمرها فقالتّ:« **هل أدلكم على أهل بيتٍ**»، ولم تقل: "**على أهله**" ، فلو قالت ذلك لافتضح أمرها، فقالته بصيغة التنكير حتى لا يعرفونها بأنّها أخت موسى عليه السلام.

ج-الاستفهام:

يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير:« وعرضت سعيها في ذلك بطريق الاستفهام المستعمل في العرض، تلطفا مع آل فرعون وإبعادًا للظنة عن نفسها».

فالاستفهام يفيد العرض نحو قولها:« **هل أدلّكم**» ،لم تقل أعلم واحدة سوف ترضعه حتمًا، بل عرضت خدمتها على أهل بيت فرعون فاستفهمت حتى تبعد الشبهة عن نفسها، جعلت نفسها غريبة حتى تذعن متلقيها فهذا إن دل فإنما يدل على ذكائها وحصافتها في طرحها القويم و السديد .

كذلك قولها: «**يكفلونه لكم**» ،هي لم تسكت بل أتبعتها ب: (لكم) أي: لأجلكم ولمصلحتكم وهم للفرعون ناصحون ومخلصون، لو قالت يكفلونه فقط معنى هذا أنه سيؤول إلى أمّ موسى.

قالت كلاما لا يثير حولها شبهةً بل يُبعد عنها كل البعد على ان يشار إليها بأصابع الاتّهام.

2-الآليات البلاغية:

أ-التأكيد:

نحو قولها: « **وهم له ناصحون**». لقصد «تأكيد أنّ النّصح من سجاياهم وممّا ثبت لهم فلذلك لم تقل: "**وينصحون له**" كما قيل : «**يكفلونه لكم**» ،لأنّ الكفالة أمر سهل بخلاف النصح والعناية»[1]. فهي هنا تكون قد أكّدت أنّهم سينصحون لهُ، حتى قال أحدهم كيف تعلمين أنّهم له ناصحين؟، قالت : عُرفوا بالإخلاص والصدق والولاء وبتربية الأولاد.

والدليل على أنّها أقنعتهم هو: أنّهم أحضروا المرأة (أم موسى) وقبل رضاعها فانتبه فرعون إلى ذلك، فقال لها كيف قبلها ورفض الجميع؟ فقالت له: بتوفيق من الله إنّي امرأة طيّبة اللبن، طيّبة الرّوح فلا يأتي وليد إلاّ يقبل، فخرجت هذا المخرج و جعلته يذعن و يقتنع.

فهنا يبرز دور التّأكيد في عملية المحاجّة ، لما قدّم من تأثير و إقناع بشكل فعّال ممّا يزيد من درجة التسليم و الإذعان.

3-الآليات شبه المنطقية:

1-السلم الحجاجي:

أ-حسن الترتيب :

نحو قوله تعالى :«**فقالت...**» ، بمعنى: "**دخلت فقالت**" والفاء هنا عاطفة، أي بعدما حاولوا وبحثوا عن المراضع وعملوا وسمعت دخلت فقالت : "**هل أدلكم....**" ، أي: عرضت خدمتها. فالفاء فصيحة، أي فأظهرت أخته نفسها كأنّها مرّت بهم عن غير قصد، وإنّما قالت ذلك بعد أن فشا في الناس طلب المراضع له وتبديل مرضعة عقب أخرى، حتى عرض على عدد كثي رفي حصة قصيرة، وذلك بسرعة مقدّرة.....[2].

---

[1]- ابن عاشور:التحرير والتنوير،ج20،ص: 84.

[2]- "ينظر":ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج20،ص:84.

ب-أسلوب العرض والإرشاد:

نحو قولها «**هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون**» أرادت أن تظلل وتبعد الشبهة عن نفسها،فقامت بتظليل المتلقي عن علاقتها به وعلاقة من يكفلونه به.

ج-الإحتجاج بالواقع:

نحو قولها:«**وهم له ناصحون**» وتعليق «**له**» ب«**ناصحون**» ليس على معنى التقييد بل لأنّه حكاية الواقع فالمعنى:أنّ النّصح من صفاتهم فهو حاصل له كما يحصل لأمثاله حسب سجيتهم، والّنصح العمل الخالص الخالي من التّقصير والفساد»[1]وهي هنا صادقة في قولها «**وهم له ناصحون**» لأنّ قولها طابق الواقع.

وِاستنادا لما ذكرناه يمكن تمثيل السلم الحجاجي على النحو التالي:

(ن) رجوع موسى عليه السلام لأمه

(ح3) -وهم له ناصحون

(ح2) - يكفلونه لكم

(ح1) - هل أدلّكم على أهل بيت

فقد بدأت حجّتها بالاستفهام (ح1)، ثم انتقلت إلى حجة أعلى درجة منها (ح2)، بعدها أكدت حجتها (ح3) وهي الأقوى، فكل هذه الحجج تخدم نتيجة ضمنية هي رجوع موسى عليه السلام إلى أمه.

-فـــوائد الآية الكريمة:

- ✓ دليل على أن أخت موسى عليه السلام ذكية ولبيبة لأنها كانت تُراقب كل شيئ بفطنة ووعي، وكانت من المجتمعين حول أخيها وشاهدت امتناعه عن جميع

[1]- ابن عاشور، التحرير والتنوير ،ج20،ص:84.

المراضع، فتدخلت في الوقت المناسب، وعرضت عليهم خدمتها لإنقاذ ابن فرعون بالتبني، هذا إن دلّ فإنّما يدل على أنّها راعت ظروف المقام لنجاح اقتراحها وإقناع متلقيها.

- ✓ دلالة على بلوغها لدرجة عالية من الذكاء والحصافة لأنها أقنعت متلقيها و نجحت في عرضها.

المبحث الرّابع: خطاب اِبنتي الشّيخ الكبير:

اِسم المرأتان «**ليَّا وصفّورة**»[1] ، وهما المرأتان اللّتان سقى لهما موسى عليه السلام عندما فرَّ من فرعون تلقاءَ مدين، فقد كان لِابنتي الشيخ –لإحداهما بالتحديد– دورٌ في حياة هذا الدّاعية العظيم الذي بعثه الله إلى أمّةٍ اِشتهرت بالعوج والظلال، وتفنّنت بالمعاصي والآثام في سورة القصص، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، و قوله تعالى أيضا: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾[3]

فحوى الخطاب:

تضطر المرأة أن تغادر مملكتها إلى حيث مواطن العمل وجلب الرزق، مع أنّها متحرّجةً بشقاء يشقُّ عليها ذلك الألم، ولكن لابدّ مما ليس لهُ بدٌّ وهذا ما كان من أمر اِبنتي الشّيخ، فقد خرجتا إلى عمل حرج فرضتهُ طبيعة الحياة وقسوة الظروف ،من خلال هذا العمل الذي طالما ضاقتا به وتمنّتا من يكفيهما شأنهُ، كان هذا العمل سبب لقائهما بنبي الله موسى عليه السلام، وربما كان ذلك اللقاء المبارك ببركة ما كان منهما من مجاهدةٍ واِحتمالٍ لذلك العمل الشاق.

«**لمَّا وردَ ماءُ مدين**» أي: لما وصل إلى مدين وورد ماؤها، وكان لهُ بئر ترده رعاء الشاء ، «وجدَ عليه أُمَّةً من النّاس» أي : جماعة يسقون « **ووجد من دونهما امرأتين تذودان**» أي تكفكفان غنمهما بمعنى ترد مع غنم أولئك الرّعاء لئلاَّ يؤذيا، فلمَّا رآهما موسى

---

[1]– اِبن عاشور: التحرير والتنوير،ج20، ص:101.

[2]–سورة القصص،الآية(23).

[3]–القصص،الآية(26).

عليه السلام رقّ لهما ورحمهما، «قال ما خطبكما» أي: ما خبركما لا تردان مع هؤلاء؟ « قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرّعاءُ» أي: لا يحصل لنا سقي إلاّ بعد فراغ هؤلاء «وأبونا شيخٌ كبير »أي فهذا الحال الملجئ لنا إلى ما ترى، «فسقى لهما».[1]

وقوله تعالى:﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] قال اِبن عباس:« جلس تحت شجرة وفي رواية ابن مسعود:أنّه ذهب إلى الشّجرة التي كلّم الله منها موسى والله أعلم.ولمّا قال موسى:ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير ،أسمع المرأة»[3].

رجعت المرأتان سريعا بالغنم إلى أبيهما، أنكر حالهما ومجيئهما سريعا فسألهما عن خبرهما، فقصتا عليه ما فعل موسى عليه السلام، فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلى أبيها قال تعالى:﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ ﴿٢٥﴾ ﴾أي مشي الحرائر، كانت متستّرةً بكم درعها كما روى عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه»[4].وقوله أيضا:﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴿٢٥﴾ ﴾[5] ، هذا إن دلَّ فإنما يدل على تأدّبها، لأنّها لم تطلبه طلبا مطلقا بل قالت «**إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا**» ليثيبك ويكافئك سقيك لغنمنا،﴿**فلما جاءه وقصَّ عليه القصص**﴾ ذكر له ما كان من أمره وما جرى له وسبب خروجه من بلده:﴿ **قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين**﴾ يقول له طب نفسًا وقرَّ عينا، واِختلف المفسّرون في هذا الرجل فهناك من قال« أنّه النّبي شعيب وهناك من قال أنّه رجلٌ مؤمن لأن شعيب كان قبل زمان موسى بمدة طويلة:تزيد على

[1]– اِبن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج6،ص:226.

[2]–سورة القصص،الآية(24).

[3]– اِبن كثير، تفسير القرآن العظيم،ج6،،ص،227.

[4] المرجع نفسه،ص228،

[5]–القصص،الآية(25).

أربعمائة سنة»[1]واختلفت الآراء في ذلك وهناك من قال أن شعيبا عاش مدةً طويلة والله أعلم.

وقوله تعالى :﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ ﴾[2]

قال سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة ،عن عبد الله بن مسعود قال: أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس في عمر، وصاحب يوسف حين قال:«أكرمي مثواه» وصاحبة موسى حين قالت :«ياأبت اِستأجره إنّ خير من اِستأجرت القوي الأمين»

آليات الحجاج في خطاب ابنتي الشيخ :

1-الأدوات اللّغوية:

أ- ألفاظ التّعليل:

فهي إحدى العناصر التي يقوم عليها الحجاج ، وذلك لما لها القدرة على التّعليل سواء بالتّأييد أو بالرّفض، و مثال ذلك ما نجده في قوله تعالى:

لام التّعليل: «**قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا**»

اللام: للتّعليل **(يجزيك):** فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعد (اللام) ،أمّا **(ما)** :حرف مصدري، **(لنا)** :متعلق ب(**سقيت**) أي : يدعوك ليعطيك أجْر سَقْيِك لنا ، عللت سبب الدّعوة لتصرف عنه الظنون ، فالدّور الذي أدّاه التّعليل هنا هو حمل المتلقي على القبول و الإذعان وهذا ما يكسبه قوّة وطاقة حجاجية و قدرة إقناعية.

-التعليل المضمر:

قوله تعالى على لسان الفتاتين :«**قالتا لا نسقي حتى يصدر الرّعاء**» أي: أتينا

---

[1]- ابن كثير،، تفسير القرآن العظيم،ج6، ص:229.

[2]-سورة القصص،الآية(26).

للسّقي وخرجنا له،« **وأبونا شيخ كبير** » لأنّ أبانا شيخ كبير، وهذا جواب لسؤاله ما خطبكما؟.

وفي قوله تعالى: «**إنّ خير من اِستأجرت القوي الأمين** » فقولها: "**اِستأجره**" بعد ما جاء تعليلها بقولها:" قوي أمين" تقدير الكلام ،"اِستأجره لأنّه قوي أمين".

ب-التكرار:

يُعتبَر أسلوب التّكرار من الأساليب الحجاجية التي يقدّمها المتكلم ،يقول العزاوي « ليس هو ذلك التّكرار المولّد للرّتابة والملل أو التّكرار المولّد للخلل والهلهلة في البناء، ولكنّه التّكرار المبدع الذي يدخل ضمن عملية البناء أو الكلام، إنّه التّكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التّكرار الذي يضمن اِنسجام النّص وتوالده وتناميه»[1].

والتّكرير هو أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللّفظ متّفق المعنى أو مختلفًا وفي هذا تقول سامية الدريدي:«إنّ أسلوب التكرار اللفظي القادر على الاضطلاع بدور حجاجي اعتمد في سياقات محدّدة وتوفّرت فيه شروط معيّنة».

و بالتّالي فالتّكرار من منظور حجاجي له تأثيره على المعنى و رسوخه في ذهن المتلقي.

ومن الأمثلة التي تؤكّد ما قلناه، نجده في خطاب اِبنتي الشيخ لقوله تعالى:﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** ﴿٢٦﴾ ﴾فقد تكرّرت "**اِستأجره** " مرّتين في هذه الآية لتقرير اِستئجاره، وذلك ما زاد من المعنى رسوخًا و ثباتًا في ذهن المتلقّي مع زيادة الفهم و الإفهام، ممّا أدّى إلى حصول الإقناع و الإذعان له.

وفي موضع آخر: قوله تعالى :﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى**

[1]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص:48.

﴿ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] ، وقوله أيضا :﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾[2] ،﴿ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ ﴿٢٥﴾ ﴾[3] .

إنّ تكرير لفظة: "**السّقي**" بمختلف صيغها ساهمت بشكل فعّال في بناء النّص وانسجامه، وبالتّالي أقامت علاقة حجاجية بين الحُجّة السّابقة والحُجّة اللّاحقة، وأقامت ترابط بين مختلف الحجج، فالتّكرار هنا يمكن القول بأنّه وقع لجلْب المتلقّي و محاولة وضعه موضع المُجيب وجعْلِه هو الذي يجيب، وبالتّالي يجد نفسه مُجْبرًا على قبول الإجابة والإذعان لها، وهنا يكمن دوره الفعّال في الإقناع في العملية الحجاجية.

ج-الأفعال اللّغوية:

لها دور فعّال في بناء العملية الحجاجية، إذ أنّ المحاجج يستخدم ما يساعده من الأفعال اللغوية بغية تأكيد خطابه وتأييده، وذلك لإقناع المتلقّي وإذعانه على القبول بما يطرحه، ومثال ذلك قوله تعالى:« **إنّ أبي يدعوك ليجزيك أجْر ما سقيت لنا**» .

فالفعل الإنجازي هو:" الدّعوة"، أي أنّها أسندت الطّلب أو الدّعوة إلى أبيها تأدّبًا واِحتراسًا حتى لا يرتاب، كما أكّدت أيضا لدفع الشّك والرّيب دفْعًا مطلقًا، فهي هنا اِستعملت فعلين اِلتزاميَين : (**يدعوك، يجزيك**) للتّعبير عن قبول وجهة النّظر و تدعيم موقفها وتأييده وفي هذا السياق يقول الألوسي: « وأسندت الدّعوة إلى أبيها وعلّلتها بالجزاء ،لئلّا يوهم كلامهما ريبة وفيه من الدّلالة على كمال العقل و الحياء و الفقه ما لا يحصى» [4].

---

[1]-سورة القصص،الآية(23).

[2]-القصص،الآية(24).

[3]-القصص،الآية(25).

[4]- الآلوسي :روح المعاني، ج20، ص:65.

و قوله تعالى: «**قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرّعاء** » : يدلّ على إنجاز الفعل، وفي قولهما تعريض بطلب المساعدة ودليله: «**وأبونا شيخ كبير**» ،فالأفعال اللّغوية المستخدمة هنا تخدم حججهما إثباتًا ونفيًا، فإثباتًا في قولهما:« **و أبونا شيخ كبير**»، دلالةً على الكِبَر و العَجْز على مساعدة اِبنتيه، أمّا نفيًا ففي قولهما:« **لا نسقي حتى يصدر الرعاء**»، دلالةً على العفّة و الكرامة والحياء من مزاحمة الرّجال على السّقي.

وفي قوله تعالى: «**فسقى لهما ثم تولى إلى الظل** »، يدلّ على فعل الإنجاز .أنّه عليه السلام سارع إلى السّقي لهما «رحمة بهما ورأفة بهما وغَوْثا لهما ،وذلك من قوّة مروءته أن اِقتحم العمل الشّاق على ماهو عليه من الإعياء عند الوصول»[1].

فحوى الخطاب: أنّ إحدى البنتين استطاعت أن تحمل المتلقي الذي هو: "**موسى عليه السلام**" على الإذعان و القبول، ممّا أكسبها قوّة حجاجية زادت في درجة الإقناع.

د-الإستفهام :

يُعدّ الإستفهام من الوسائل الحجاجية المهمّة ،فهو « يحيل على صعوبة معرفيّة أو على ضرورة الإختيار، فإذا بالسّائل متى طرح سؤالاً دعا المتلقّي إلى اِتّخاذ قرار ويتحدّد هذا الموقف عند المتكلم بقوانين السياق»[2] التي تثير المتلقّي.

قوله تعالى:﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ ﴿٢٣﴾ ﴾[3] لمّا رأى موسى عليه السلام المرأتان تمنعان أغنامهما من الشرب سألهما: ما خطبكما؟ وهو سؤال عن قصّتهما وشأنهما إذ حضرا الماء ولم يقتحما عليه لسقي غنمهما...،وأجابتا على عدم السّقي إلى أن ينصرف الرّعاء[4].

---

[1]-اِبن عاشور: التحرير و التنوير ، ج20 ،ص:101.

[2]- سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، دار الكتاب العالمي ،الأردن،ط1،2011، ص:141.

[3]-سورة القصص،الآية(23).

[4] الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير،ج20،ص301.

فالمصدر: «**ما خطْبُكما**» أي: ما شأنكما، أصلها: "**ما مخطوبكما**" لكنّها وقعت اِسم مصدر للمبالغة، لأنّ العرب تأتي بالمصدر للمبالغة»[1]،فما الاِستفهامية كان لها الأثر الحجاجي البالغ في الخطاب، فهو يريد الاِستفهام من أجل حمل المتلقّي نحو الإجابة ،ففي قولهما: « **قالتا لا نسقي حتى يصدر الرّعاء**» ، فلفظ : "**لا**" هنا هو تأكيد للنّفي و تثبيت له، وتوجيه الخطاب للإعراض عن ذلك، إذن: كل من الاِستفهام و النّفي في تظافرهما لهما دور حجاجي فعّال في العملية الحجاجية يفرض على المتلقّي أن يكون طرفا مشاركا وفاعلا في العملية الإقناعية لما تقتضيه من اِستلزام حواري.

وعليه فإنّ الحجاج بالسّؤال أو الاِستفهام يكون أكثر إقناعًا و أقوى حجّةً على المتلقّي وهذا هو الهدف من الحجاج و العملية الإقناعية ككل.

2-الآليات البلاغية :

أ-الكناية:

تُعدُّ آلية من آليات الحجاج، و وسيلة من وسائل التفنّن في القول والإبداع في إثبات المعنى والاحتجاج له، نحو قوله تعالى:﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ فهي كناية عن الكبر، فقد أرادتا أن تقولا له : «إننا اِمرأتان ضعيفتان، لا نقدر على مزاحمة الرجال، ومالنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ طاعنٌ في السن قد أضعفه الكبرُ وأعياه، فلابد لنا من تأخير السقي إلى أن يقضي الناس أوطارهم من الماء»[2] لم تجيبا عن سؤال موسى عليه السلام وإنّما أجابتا عمّا في ذهنه، كأنّه يقول ما أخرجكما في هذه الساعة الشديدة الحرّ، فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرّعاء ،اْستمرارية على عدم الاختلاط ،ثم اعطتا الجواب الدقيق دون إطناب الذي منع أبانا من الخروج هو أنّه شيخ كبير[3] .كما يدلّ أيضا على «

---

[1] صافي المستغانمي: برنامج في رحاب سورة –سورة القصص،ج4.قناة الشارقة.

[2] محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مؤسسة الإيمان لبنان،ط1995،3،ج20،ص:245.

[3]– وفي هذا يقول ابن عطية:« وكان استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب، أو مضطهد ،أومن يشفق عليه، أو يأتي بمنكر من الأمر، فكأنه بالجملة في شرّ فأخبرناه بحبرهما، وأنّ أباهما شيخٌ كبير، فالمعنى لا يستطيع لضعفه أن

تعريضهما بالإسترحام والإستعطاف لحاجتهما الماسّة للمساعدة والعون، وتضمن تعريضهما بالمساعدة وطلب العون إستعطاف موسى عليه السلام لإعانتهما على السّقي، كما تضمن اعتذارا عن مباشرتهما السقي ورفع الحرج عن والدهما لكبر سنه وعجزه عن السّقي، هذا إن دلّ فإنّما يدّل على ذكاء وحصافة المرأة في الاتيان بالحجّة، وأنَّ ردها يحمل قدرة تبيينية وقوّة حجاجية .ودليل هذا إقتناع موسى عليه السلام بقولهما، والمباشرة في السّقي لهما.

ب-الإستعارة:

إنّ الإستعارة وسيلة هامّة من وسائل التّأثير والحجاج، كما أنّ إستخدامها له دور كبير في إقناع المتلقّي و إستمالته لقبول الخطاب والإذعان له بصورة بيانية و بلاغية، يقول الجرجاني في هذا الباب : « فقد حصل من هذا الباب أن الإسم المستعار كلّما كان قدمه أثبت في مكانه، كان موضعه من الكلام أضمن به، وأشد محاماة عليه، وأمنع لك من أن تتركه وترجع إلى الظّاهر بالتّشبيه، فأمر التخيل فيه أقوى، ودعوى المتكلّم له أظهر وأتم»[1]

فالإستعارة عملية ذهنية تُحدِث تأثيرًا في المتلقّي بإثارة إنتباهه، ولا يكون ذلك إلاّ في سياق معيّن. وهي تدخل ضمن « الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية»[2] ،فالإستعارة الحجاجية هي النّوع الأكثر إنتشارًا لإرتباطها بمقاصد المتكلّمين وبسياقاتهم التّواصلية و التّخاطبية.

وقد وردت الإستعارة في خطاب إبنتي الشّيخ لما كان لها الأثر الفعّال في نحو قوله تعالى: ﴿ تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ فقد أشار « بلمح خاطف يشبه لمح الطرف ، وبلغة هي لغة النّظر، إلى وصف جمالها الرائع ، باستحياء لأنّ الخفر من صفات الحسان،

يباشر أمر غنمه، وأنّهما لضعفهما وقّلة طاقتهما لا تقدران على مزاحمة الأقوياء، وأنَّ عادتهما التأنّي حتى يصدر النّاس عن الماء، ويخلى، وحينئذٍ تردان».محمد القرطبي، الجامع لأحكام البيان، ت :عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة،ج6،ص:257.

[1]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،ص:279.

[2]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص: 108.

ولأنّ التّهادي في المشي من أبرز صفاتهن»[1]، والإستحياء: هو المبالغة في الحياء. وهي جملة حالية كان لها دور في قبول المتلقّي موسى عليه السلام لطلب الشّيخ الكبير.

يقول الطّاهر اِبن عاشور:« إنَّ المتتبّع لقوله تعالى:﴿ تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ لا يجد له نظير في كافّة التّعبيرات الإنشائية البلاغية، وما ذلك إلاّ لأنّ استعارة المشي لمجازية الاستحياء مُشِعّة بالتّصوير البياني، الخاص بالصّورة الفنّية بكل أوجهها من حقائق السّير إلى مجازات الحياء بكل أنواعه»[2]. فالآية الكريمة قمة من قمم الإعجاز البياني.

فقد وصف القرآن الكريم حال المرأة وطريقة مشيها لما له أثر في المتلقّي، وهو موسى عليه السلام الذي استجاب لدعوة أبيها " **تمشي**" ليُبْنى عليه قوله:"**على استحياء**" وإلاّ فإنّ الفعل "**جاءته**" مُغنٍ عن ذكر:" **تمشي**" و"**على**": للاستعلاء المجازي، مستعارة للتَّمكُّن من الوصف، والمعنى: أنّها مستحيية في مشيها أي : تمشي غير متبخترة ولا متثنّية ولا مُظْهِرة زينة»[3].فهذه الإستعارة توضّح مدى قدرة الإعجاز القرآني البلاغية و البيانية، التعبير عن أغراضه و مقاصده، لبلوغ النّتيجة المتوخّاة بإستخدامه الاستعارة ممّا زادتها قوّة و طاقة حجاجيّة، فكانت أقوى وأقنع حجاجًا.

ج- التوكيد:

يُعدّ التّوكيد من الأساليب البلاغية التي اِستعملها القرآن الكريم، فهو وسيلة لتثبيت المعنى في النّفوس، وإقرارها في أفئدة المتلقّي «إن التأكيد تمكين الشيئ في النّفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشّكوك، وإماطة الشّبهات عمّا أنت بصدده، وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد»[4] .أي أنّ التّوكيد أسلوب يؤثّر في المتلقّي ويجعله يتيقّن بعد الشّك. **نحو** قوله تعالى:﴿ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ ،كلام جامع حكيم لا يزاد

[1]- الجدول في إعراب القرآن: ص: 245.

[2]- ابن عاشور: التحرير والتنوير،ج20، ص:103.

[3]-ابن عاشور: مرجع سابق، ص:103.

[4]- ابن العلوي: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية،1982،بيروت،ج2،ص176.

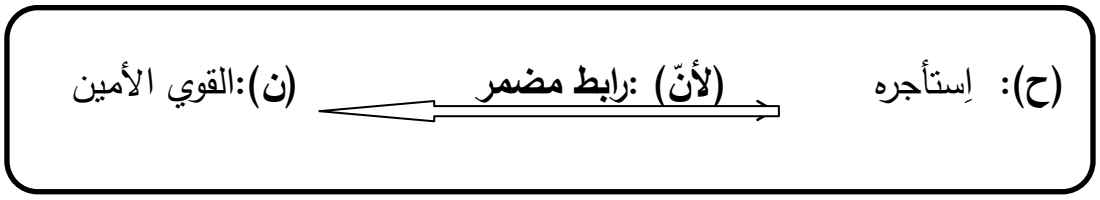
عليه، لأنّه إذا اِجتمعت هاتان الخصلتان، القوّة والأمانة في القائم بأمر أو عمل، فقد فزع البال وتمَّ المراد، وقد اِستغنى بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل، والحكمة أن تقول: "**اِستأجره لقوّته وأمانته**". وظّفت في خطابها:« **قوي أمين**»، حجّة واقعيّة تتمثّل في القوّة ، وحجّة أخلاقيّة تتمثّل في التعفّذف والمروءة والحياء، أكّدتها بإنّ.

فمن خلال هذا التّوضيح يتبيّن لنا أنّ التّوكيد يلعب دورًا بارزًا في التّعبير، ويحتلّ مَوْقِعًا في الاِستعمال والتّأثير، فيجعل ذهن المتلقي يذعن بما يُطرح عليه.

النّتيجة: الاِستئجار.

الرّابط: إنّ.

الحجّة: قوي أمين، ويمكن رسمها كالتّالي:



حيث :(ح)=الحجّة. و (ن)=النّتيجة. و الرّابط مضمر

فالتّقدير: "اِسْتَأْجِر موسى عليه السلام **لأنّه** قويٌّ أمين"، حيث : **(لأنّ)**: رابط حجاجي مدرج للنّتيجة التي هي: "القوي الأمين".

3-الآليات شبه المنطقية:

1-السلّم الحجاجي:

والذي يُقصَد به ترتيب الحجج داخل الخطاب عموديّا، أي من الحجّة الأدنى إلى الحجّة الأعلى منها درجة إلى الحجّة الأقوى للوصول إلى النّتيجة.

فالسلّم الحجاجي يظهر في الآيات الكريمة التي تطرّقنا إليها بشكل واضح، حيث نجد في كل آية سرد للحجج متتالية و مرتّبة لبلوغ النّتيجة، و نكتفي بذكر نماذج من السلالم الحجاجية حتى يتضح ما قلناه:

- **النّموذج الأوّل:**

قوله تعالى: ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

،فترتيبها الحجاجي يكون كالتالي:

- **النّتيجة** : إعانة موسى للبنتين.

-**الحجّة الثانية** :و أبونا شيخ كبير.

-**الحجّة الأولى**: قالتا لا نسقي حتى يُصدِر الرّعاء.

أمّا تمثيلها الحجاجي فهو على النّحو التالي:

(ن): إعانة موسى للبنتين.

↑

(ح2) - **وأبونا شيخٌ كبير.**

(ح1) - **قالتا لا نسقي حتى يُصدر الرّعاء.**

حيث إنّ:(ح1،ح2):حجّتان موجّهتان نحو النّتيجة (ن):إعانة موسى للبنتين.

- **النّموذج الثّاني:**

قوله تعالى:﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ ﴿٢٥﴾ ﴾

- ✓ **النّتيجة**: قبول موسى دعوة الشيخ الكبير.
- ✓ **الحجّة الثّالثة**:« ليجزيك أجر ما سقيت».
- ✓ **الحجّة الثّانية**:« قالت إنّ أبي يدعوك».
- ✓ **الحجّة الأولى**:« فجاءت إحداهما تمشي على اِستحياء».

فالتّمثيل الحجاجي لها هو كالتالي:

(ن): قُبُول موسى دعْوة الشّيخ الكبير.

(ح3) – ليجزيك أجر ما سقيت.

(ح2) – قالت إنّ أبي يدعوك.

(ح1) – فجاءت إحداهما تمشي على اِستحياء.

فإنّ:(ح1،ح2،ح3)=عبارة عن حجج موجهة نحو النتيجة التي هي:(ن) .

فقد تدرّجت الحجج من الحجّة الأضعف إلى الحجّة الأعلى منها درجة إلى الحجّة الأعلى و الأقوى حتى تفضي إلى النّتيجة داخل السلّم الحجاجي الواحد.

- **النّموذج الثّالث:**

قوله تعالى:﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦ ﴾

- ✓ **النّتيجة:** موافقة موسى على العرض (زواجه إحدى البنتين).
- ✓ **الحجة الثالثة:** « القوي الأمين ».
- ✓ **الحجة الثانية:** « إنّ خير من اِستأجرت ».
- ✓ **الحجة الأولى:** « قالت: يا أبت اِستأجره ».

وعليه فإنّ اِنتماء هذه الحجج إلى صنف حجاجي واحد، تحكمها علاقة ترتيبية فيما بينها يسمح لنا بتمثيلها في سلّم حجاجي واحد، و ذلك كما يلي:

(ن): موافقة موسى على العرض(زواجه احدى البنتين)

(ح3) القوي الأمين

(ح2) إنّ خير من استأجرت

(ح1) قالت: يا أبت استأجره

لدينا: **(ن)**= النّتيجة. و كل من :(ح1،ح2،ح3):حجج متدرجة من الحجة الأضعف إلى الأقوى، موجهة نحو النتيجة (ن)=موافقة موسى على العرض (زواجه إحدى البنتين).

إنّ ترتيب الحجج بشكل تسلسلي، من الحجة الأضعف إلى الحجة الأعلى درجة، إلى الأقوى منها يزيد من درجة التوجه نحو النتيجة، ويضمن اِقتناع المتلقي بالنتيجة و إقباله عليها.

فوائد الآيات الكريمة:

- أنه لا ينبغي أن نحكم على الأمور إلا بعد معرفة الأسباب، فإن موسى لم يحكم على المرأتين بأي حكم إلا بعد أن قال :«ما خطبكما» ولم يحكم بأي حكم على هذا الأمر فسألهما.
- قوله تعالى : «**فجاءته إحداهما تمشي على استحياء**» يستفاد منها بيان الوقار الذي جعله الله لموسى عليه السلام حيث جاءت إليه على استحياء تعظيما له، لأن الإنسان كلما كان أشد وقارا كان الحياء منه أكثر، لذلك الرّجل الذي ليس بوقور تجد الناس لا يستحيون منه ولا يبالون به، فيتفوهون عنده بالكلام الذي لا يليق ويفعلون عنده مالا يليق لأنه ليس وقورا ولهذا يقال: اِحتشم تُحتشم.
- بيان كمال خلق هاتين المرأتين، حيث جاءت تمشي، غير مسرعة ولا مهرولة، بل تمشي بهدوء وهذا دليل على كمال أدبها.
- في قولها:« إنّ أبي يدعوك» ،نسبة الدعوة إلى أبيها دون نفسها وهو دليل على كمال أدبها وذكائها، لأن نسبة الدعوة إلى الأب أقرب إلى إجابة موسى للدعوة ،حيث يكون الداعي له رجلا، وقد وصفته من قبل بأنه شيخٌ كبير، فتكون دعوته لموسى، وتوجيه الدعوة منه إلى موسى أقرب إلى الإجابة.

- دليل على ذكاء الفتاة فهي لم تقل: إن أبي يدعوك من أجل أن يوجه إليه التهمة مثلا أو من أجل أن يغدر به، أو بطلبه أو ما أشبه ذلك لكنها قالت :«ليجزيك أجر ما سقيت لنا» ،وليكون أدعى إلى إجابة الدعوة.
- مشورة الأدنى للأعلى بقولها: «**اِستأجره**» لأنّ الأمر هنا ليس للإلزام، ولكن للمشورة والعرض فقد يكون الأدنى أعلى من الأعلى في بعض الأمور كما أن المفضول قد يكون أفضل من الفاضل في بعض الأمور.
- ينبغي أن يتحرى الإنسان في جميع أحواله من كان قويا أمينا لقولها :«**إن خير من استأجرت القوي الأمين** »والقوة في العمل بحسبه، فالقوة على الأعمال البدنية معناها قوة البدن، والقوة في الأمور الفكرية قوة الفكر في هذا الشيئ والقوة في الأمور الحربية الحرب نفسها، فلكل شيئ قوته بحسبه ،وباختلال أحد الوصفين يختل العمل، فإذا اختلت القوة وصار الإنسان ضعيفا لا يستطيع أن يقوم بالعمل ولو كان من آمن الناس[1].

خصائص خطاب المرأة:

يتميّز خطاب المرأة بتقنية لغوية عالية، تقوم على السرد والوصف والتفصيل والأدلة المدعمة بالحجج اللغوية والبلاغية والمنطقية التي تستند إلى الواقع، مع كثرة التفاصيل وإعادة طرح الموضوع، والتجديد في الصياغة والأسلوب، وتوليد الفكرة من الفكرة ،مع الاستعانة بالعالم الخارجي، والتنويع الصوتي ، والتعبير الجسدي، وتجسيد المعنى بالتعبير التمثيلي، وأهم ما يميز خطابها:

- ✓ لها مهارة وقدرة عجيبة في الأداء لأنها تتفاعل مع خطابها وتصور المعنى تصويرا دقيقا تعبيرا وتمثيلا.
- ✓ سريعة الاستجابة والانفعال مع الأحداث، كونها عاطفية وعاطفتها تغلب عقلها.

[1]" يُنظر" محمد بن صالح العثيمين: تفسير القرآن الكريم ، سورة القصص، ص:108/101.

- ✓ تهتم بالتفاصيل الدقيقة صغيرة وكبيرة.
- ✓ تحرص على تأكيد المعنى باللفظ والحركة والانفعال.
- ✓ تستجيب لمشاعرها دون توجيه أو توظيف ، فتتفاعل مع الحدث وتعبّر عنه بعفوية خاليا من التكلّف وممارسة التّوجيه المُصْطَنع ووسائل الضّغط السلطية.
- ✓ تخاطب الوجدان والوعي ثم العقل والقيم العامة.خطابها أكثر تأثير من خطاب الرجل الذي يتكلم عن قصد واستراتيجية ، ويتجاهل التفاصيل والمؤثرات النفسية أحيانا،وقد لايبالي بعناصر الإقناع كثيرا ثقةً بقوله.
- ✓ تراعي مشاعر المتلقي وتحرص على إقناعه.[1]

[1] "يُنظر"، محمود عكاشة: تحليل الخطاب،ص:402.

خاتمة

في ظِلِّ هذه الدراسة رأينا أن الحِجاج ظهر بمعانٍ مختلفة كالجَدل والحِوار والمُناظرة وكلٌ تفضي إلى غاية واحدة هي محاولة الاستمالة والتأثير في المتلقي ووصول المتكلم إلى مبتغاه ومقصده وقد توصلنا إلى النتائج التالية:

- ظهر الحجاج في التراث العربي مرادفا للجدل واستخدم المصطلحين مترادفين.
- مصطلح الحجاج مفهوم له دلالات متنوعة في كثير من الحقول المعرفية ارتبط عبر مساره التاريخي بمصطلحات طالما اعتبرت مرادفات له (كالجدل والحوار والبرهان والمناظرة ...) وكل هذه المفاهيم هدفها واحد هي محاولة التأثير وإقناع المتلقي.
- يعدّ الحجاج في الخطاب القرآني عنصرا مهما في عملية التأثير والإقناع وفي إدراك الحق وقبوله.
- القرآن الكريم خطاب وكونه خطاب يقتضي أنّه إقناع وتأثير.
- هناك علاقة بين مصطلحي الحجاج والإقناع فالحجاج هو آلية ووسيلة تفضي إلى التّأثير والإقناع.
- استطاع الحجاج أن يُصبح مبحث قائم بذاته في عِدَّة عُلوم باعتباره أحد عناصر التداولية ، فالدراسات الحديثة بيَّنت أنه لا خِطاب بلا حِجاج كون المُتكلم يسعى دائما من خلال أقواله إلى تَوجيه المُتلقي نحو نتيجةٍ مُعينة.
- إنفتاح الباحثين العرب المُعاصرين على النظريات الغربية واستثمارها في شكل تطبيقي على الخطاب العربي عامة والإسلامي خاصةً.
- ظهرت دلالة الحجاج في القرآن الكريم بمعان مختلفة كالحوار والجدل والمناظرة وجاءت كل هذه الدلالات لتصب في قالب واحد وهو استمالة المتلقي والتأثير فيه بهدف الاقناع.

- اشتمل خطاب المرأة في سورة القَصص على وسائل وآليات عدة من صور التأثير والإقناع فجاء خطابها كوسيلة بقصد إقناع المتلقي (خطاب أم موسى ، خطاب امرأة فرعون خطاب أخت موسى عليه السلام ، خطاب ابنتي شعيب).
- تنوع آليات الحجاج في خطاب المرأة في سورة القصص بين ما هو بلاغي(كالاستعارة والكناية). وبين ما هو لغوي(كالتكرار، والتّوكيد والأفعال الكلامية).وبين ما هو شبه منطقي كالترتيب والاحتجاج بالواقع و(السلالم الحجاجية) كل هذه الآليات تكسب الخطاب طاقة حجاجية فاعلة ومشحونة تؤدي إلى التأثير والإقناع.
- تعددت الآليات اللغوية من تكرار وتعليل وتوظيف للأفعال الكلامية من أمر ونهي واستفهام قصد الحجاج.يختلف الدور الحجاجي لهذه الأفعال سواء كان إنجازي أو خبري كونها تُوجه القول حجاجيًا.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1- ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ت، سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،السعوديةط2، ،ج1999،6

2- ابن كثير: **قصص الأنبياء**، تح محمد السيد، تح محمود المصري، مكتبة أبوبكر الصديق ،القاهرة،ط2002.1

3- ابن منظور الأنصاري:**لسان العرب** .المجلد الثاني. والثالث .دار صادر بيروت –لبنان ط1 ،2003.

4- ابن خلدون : **المقدمة** ،دار الكتاب العربي بيروت لبنان ،د ط ، 2005

5- ابن فارس : **مقاييس اللغة**، دار الجبل ،بيروت ، مج2،الطبعة الأولى.

6- أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني :**إعجاز القرآن** ، د ط ،دت

7- أبي القاسم الزمخشري:**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل** ،دار المعرفة،بيروت لبنان ط3 ،2009.

8- أبو جعفر النحاس: **إعراب القرآن** دار الضياء ،لبنان ج3

9-أبو عثمان عمرو بن بحر : **البيان و التبيين** ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط2 ،ج1 ، 2003.

10- الباجي أبو الوليد :**المنهاج في ترتيب الحجاج**،عبد المجيد تركي،دار المغرب الإسلامي،المغرب،ط2 ،1987.

11-ابن العلوي:**الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**،دار الكتب العلمية ،بيروت ج2، 1982

12-أبو بكر العزاوي :**اللغة و الحجاج** ،العمدة في الطبع- المغرب ،ط1 ،2006.

13-أبو بكر العزاوي: **الخطاب و الحجاج** ،مؤسسة الرحاب الحديثة،بيروت لبنان،ط1، 2010

14-أحمد المراغي:**علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع**،دار الكتب العلمية لبنان،ط3، 1993.

15-أمال المغامسي: **الحجاج في الحديث النبوي-دراسة تداولية**-الدار المتوسطية للنشر تونس،ط2016،1437/1

16-بدر الدين الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**،تحقيق يوسف المرغلي وآخرون،دار المعرفة بيروت لبنان ،ط1 1990.

17-الطاهر ابن عاشور: **التحرير والتنوير** ،الدار التونسية للنشر،تونس ، ج ، 20 ،1984.

18-شهاب الدين الألوسي: **روح المعاني،تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الإدارة الطباعة المنيرية لبنان،ج20

19-محمد بن صالح العثيمين: **تفسير القرآن الكريم،سورة القصص** ،مؤسسة الشيخ محمد العثيمين

20-محمد القرطبي:**الجامع لأحكام البيان**،ت عبد الله التركي،مؤسسة الرسالةج6،2006م

21-محمد الشوكاني ،**فتح القدير** ،**الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير** ،دار المعرفة لبنان ،ط4 2007 .

22-البخاري : **صحيح البخاري ،كتاب فضائل أصحاب النبي**ﷺ ،باب مناقب فاطمة رضي الله عنها ج2،ص264،حديث رقم 1.3769

23-الزمخشري : **أساس البلاغة**، دار صادر، بيروت، لبنان،دط،دت.

24-سامية الدريدي : **الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه** ،ط2 2011 جدار للكتاب العالمي الأردن

25-حافظ اسماعيلي علوي: **الحجاج مفهومه ومجالاته**دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1 ، 2010.

26-حمو النقاري:**التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه وضوابطه** ؛النجاح الجديد الدار البيضاء،ط1.2006/1427.

27-طه عبد الرحمن : **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام** ، ط2.المركز الثقافي العربي الرباط المغرب 2000.

28-طه عبد الرحمن :**اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي** : المركز الثقافي العربي الرباط المغرب ط1 1998.

29-صابرحباشة: **التداولية والحجاج، مداخل ونصوص**،ط1 صفحات للدراسات والنشر دمشق،سوريا،2008.

30-صفية عبد الرحمن السحيابني: **الخرائط الذهنية لسور القرآن الكريم**،دط، دت.

31-عبد القاهر الجرجاني: **أسرار البلاغة في علم البيان** ،تحقيق عبد الحميد الهنداوي-دار الكتب العلمية-بيروت،لبنان-ط1. 2001.

32-عبد القاهر الجرجاني: **دلائل الإعجاز**،تح محمود محمد شاكر،مطبعة المدني،مصر،ط3، 1993.

33-عبد السلام عشير: **عندما نتواصل نغير(مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج)** إفريقيا الشرق،المغرب،ط1 ، 2005.

34-عبد الهادي بن ظافر الشهري: **إستراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)**،دار الكتاب الجديد ط1 مارس2004.

35-عبد الجليل العشراوي: **الحجاج في الخطابة النبوية** ، عالم الكتب، اربد الأردن ، ط1 .2012.

36-عبد الله صولة :**الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية** ،دار الفرابي بيروت ،لبنان ط(1)2002.

37-علي الشبعان: **الحجاج وآفاق التأويل**،دار الكتاب الجديد،المتحدة ليبيا،ط1، 2010.

38-قدور عمران : **البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني** ، عالم الكتب الحديث،إربد الأردن ط1، 2012.

39-لطفي فكري محمد الجودي:**جمالية الخطاب في النص القرآني**،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة،مصر،ط1، 2014.

40- مثنى كاضم صادق :**أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي** ،تطبيق على السور المكية ، دار مكتبة عدنان ط1 ،2015الخيرية،السعودية،ط1436،1.

41- محمد بن علي السكاكي **: مفتاح العلوم** ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ،ط2 ،1998.

42- محمد العيد: **النص والخطاب والاتصال**،دط،2014

43- محمد صافي المستغانمي: **برنامج في رحاب سورة**،-سورة القصص -قناة الشارقة الجزء3.والجزء4.

44- محمد العمري: **في بلاغة الخطاب الإقناعي** ،مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية،أفريقيا الشرق،الدار البيضاء،الطبعة الثانية،2002.

45-محمود عكاشة: **تحليل الخطاب**،دار النشر للجامعات، القاهرة،دط،2014.

46-محمود صافي: **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه**،مؤسسة الإيمان لبنان،ط3،،ج20، 1995

47-معتصم بابكر مصطفى: **أساليب الإقناع في القرآن الكريم** ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر،ط1 ،2003/1424.

48- ناصر عمارة : **الفلسفة والبلاغة**،مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي،منشورات الاختلاف،ط1، 2009.

2- قائمة المجلات والدوريات:

1-بوزناشة نور الدين : **الحجاج في الدرس اللغوي الغربي** ، مجلة علوم إنسانية العدد443 -2010

2-فايزة بوسلاح: **خصائص الحجاج في الخطاب القرآني**،مجلة الحضارة الإسلامية،العدد26

3-محمد سالم ولد محمد الأمين :**مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة**،ع2 ،مارس 2002.

4-لمهابة محفوظ مبارة: **مفهوم الحجاج في القرآن الكريم:دراسة مصطلحية**،(مجمع اللغة العربية،دمشق،المجلد71،الجزء3)

5-هاجر متقن: **آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ،ونظرية البرهان** ، جامعة قاصدي مرباح الجزائر ورقلة ،ع 5 ،مارس 2006.

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعرفان

مقدمة

مدخل:الحجاج ومفاهيمه عند الغرب والعرب.....ص14

المبحث الأول: مفهوم الحجاج.....ص14

1-المعنى اللغوي:.....ص14

2-المعنى الاصطلاحي:.....ص16

المبحث الثاني: الحجاج عند العرب:.....ص16

أ-قديماً:.....ص16

ب-حديثاً:.....ص17

المبحث الثالث: الحجاج عند الغرب:.....ص19

أ-قديما:.....ص19

ب-حديثا:.....ص19

الفصل الأول: ماهية الخطاب القرآني وآلياته الحجاجية.....ص23

المبحث الأول: ماهية الخطاب القرآني وخصائصه.....ص24

المطلب الأول: مفهوم الخطاب القرآني.....ص24

المطلب الثاني: الحجاج في الخطاب القرآني.....ص25

المطلب الثالث: خصائص الحجاج القرآني.....ص30

المبحث الثاني:الخطاب والإقناع ودلالة الحجاج في القرآن الكريم.....ص34

المطلب الأول: الحجاج والخطاب.....ص34

المطلب الثاني: الحجاج والإقناع.....ص36

المطلب الثالث:دلالة الحجاج في القرآن الكريم.....ص39

المبحث الثالث: الآليات الحجاجية.....ص41

المطلب الأول: الأدوات اللغوية.....ص41

المطلب الثاني: الآليات البلاغية.....ص44

المطلب الثالث: الآليات شبه المنطقية.....ص45

الفصل الثاني: آليات الحجاج في خطاب المرأة في سورة القصص.....ص50

التعريف بسورة القصص:.....ص51

المبحث الأول:خطاب أم موسى عليه السلام.....ص54

فحوى الخطاب.....ص55

آليات الحجاج في خطاب أم موسى عليه السلام.....ص59

1-الأدوات اللغوية:.....ص59

2- الآليات البلاغية.....ص63

3-الآليات شبه المنطقية:.....ص66

-فوائد الآيات.....ص68

المبحث الثاني: خطاب امرأة فرعون.....ص69

فحوى الخطاب ص70

أليات الحجاج في خطاب امرأة فرعون.....ص72

1-الأدوات اللغوية:.....ص72

2- الآليات البلاغية:.....ص75

3- الآليات شبه المنطقية.....ص77

-فوائد الآية الكريمة:.....ص79

المبحث الثالث:خطاب أخت موسى عليه السلام:.....ص80

فحوى الخطاب.....ص81

آليات الحجاج في خطاب أخت موسى عليه السلام.....ص82

1-الأدوات اللغوية.....ص82

2- الآليات البلاغية.....ص83

3- الآليات شبه المنطقية:.....ص84

-فوائد الآيات الكريمة.....ص85

المبحث الرابع:خطاب ابنتي الشيخ الكبير.....ص86

فحوى الخطاب.....ص86

أليات الحجاج في خطاب ابنتي الشيخ الكبير.....ص88

1- الأدوات اللغوية:.....ص88

2- الآليات البلاغية.....ص92

3- الآليات شبه المنطقية:.....ص96

فوائد الآيات الكريمة:.....ص99

-خصائص خطاب المرأة..... ....ص100

خاتمة.....ص103

المصادر والمراجع.....ص111

فهرس الموضوعات.....ص106


تم بحمد الله